وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الرابع

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778358

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الرابع، (٥٨٠ صفحة)، ٢٤ سم.
١.الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٤) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

أهميَّةُ التوظيفِ القرآنيِّ في خطبِ أميرِ الؤمنينَ عليه السلام ١١

م . د. فراس عبدالخالق منديل الغانمي/ م. م. هبه قاسم زويد الموسوي

الأبعادُ القرآنيَّةُ للعدالةِ والتوسعةِ الاقتصاديَّةِ في سيرةِ أميرِالمؤمنينَ عليه السلام ٣٥

الدكتور مصطفى الغفوريّ

النَّهْجُ القُرْآنيُّ للإمَامِ عليّ بن أبِي طَالب عليه السلام في التَّسَامُحِ والإصْلَاحِ السِّيَاسيِّ وأَثَرُهُ في المُجْتَمَعِ الإسْلاَمِيِّ ٥٩

د. عادل محمّد زيادة البهيّ

أسبابُ اختلافِ الحديثِ في روايةِ الإمام عليّ عليه السلام ٩٥

د. حميد البغدادي

أثرُ الخطابِ القرآنيّ في التّربيةِ العقليّةِ والنّفسيّةِ عند أميرِ المؤمنينَ عليه السلام (كتابُ نهجِ البلاغةِ أنموذجًا) ١٢٣

د. ريما حسين أمهز

الآياتُ القرآنيّةُ المصاحبةُ للتُّحفِ الأثريّةِ التي تحمل اسم الإمام عليّ عليه السلام (دراسة في الشكل والمضمون) ١٥٥

د. عبد الحميد عبد السلام أبوعِليو

منهجيّة الإمام عليّ عليه السلام في الحكم وإدارة البلاد..... ٢١٧

د. منى حسن خازم

أثرُ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام في العلوم الإنسانية (الفنون والرسم) لوحات الفنان الإيراني حسن روح الأمين أنموذجًا دراسة تحليلية ٢٤١

د. نجلاء حسين الصراف

الأثرُ القرآني لأميرِ المؤمنين عليه السلام في العلوم النفسيّة والتربويّة (شخصيّة المنافقين أسبابٌ ومعالجاتٌ)..... ٢٦٧

د. وفاء كاظم جبار

التفسيرُ القرآنيّ للإمامِ عليّ عليه السلام وانعكاساتُه في خطبِه ورسائلِه السياسيّة -دراسة تحليليّة- ٢٩٧

م. د خديجة حسن علي القصير

تَوْظِيفُ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ فِي نظم نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وأَثَرُه في دِرَاسَةِ الإيقَاع الصَّوْتِيَّ وموسيقى الصُّورَةِ الصَّوْتِيَّةِ ٣١٩

م. د دُرَيد عبْد الله يُوسُف

دورُ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام في تنميةِ مهاراتِ التواصلِ الاجتماعيِّ لدى الأطفالِ من وجهةِ نظرِ أفرادِ المجتمعِ العراقيِّ ٣٥٩

م.د. هيفاء محمود الأشقر

مفاتيحُ الإدارةِ في الرؤيةِ القرآنيّة العلويّة ٣٩١

د. ذو الفقار جواد ناجي جاسم

النظامُ الاقتصاديُّ في عصرِ أميرِ المؤمنينَ عليّ عليه السلام مرجعيّاتُه القرآنيّةُ ٤١٧

د. رحاب حسين جبار إبراهيم الزغير

التربيةُ في فكرِ الإمامِ عليّ عليه السلام من منظورٍ قرآنيّ..... ٤٤٩

د. فاطمة مهدي البزال

مروياتُ أمير المؤمنين عليه السلام وفقهه في كتب الحديث دراسة نقدية - صحيح البخاري أنموذجًا ٤٧٧

السيّد الدكتور عبد الستار الجابري

أثرُ أميرِ المؤمنين عليه السلام القرآني في العلوم الإسلاميّة علوم القرآن الكريم أنموذجًا ... ٥١٩

الدكتور ليث عبد الحسين فرحان العتابي

شذراتٌ تربويّة بين الخطاب القرآني وفكر الإمام عليّ عليه السلام ٥٥٣

م.د. براء علاء عبدالحسين الركابي/ م. م. أياد حسن كاظم العبدالله الحوزي

النَّهْجُ القُرآنيُّ للإمَامِ عليّ بن أبِي طَالب عليه السلام في التَّسَامُحِ والإصْلَاحِ السِّيَاسيِّ وأَثَرُهُ في المُجْتَمَعِ الإسْلَامِيِّ

د. عادل محمّد زيادة البهيّ

الملخَّص

إنَّ التاريخ الإسلامي لأمَّتنا العربية حافل بكثير من رموزه السياسيَّة الذين ثبَّتوا مبادئ الدين الإسلامي ونشروها على أسس من التسامح والإصلاح، ومن المسلم به أن رأس قادة الدولة الإسلامية في هذا المجال هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي حكم في أهم مرحلة من مراحل تاريخ الدولة الإسلامية.

وتمتد جذور الجانب العملي والتطبيقي لسياسة التسامح والإصلاح للإمام علي عليه السلام إلى ما قبل تاريخ قيادته للحكومة الإسلامية، وحتى توليه للقيادة السياسية. وعندما آلت إليه الحكومة والخلافة، كان رجل الإصلاح والتسامح أيضًا فلم يتعامل مع معارضيه بالأمس واليوم بالانتقام والتشفّي؛ بل كانت حركته الإصلاحيَّة في المجتمع والإدارة والسياسة وكل مواقفه تستند إلى القرآن ونهج رسول الله صلى الله عليه وآله.

تتناول هذه الدراسة بالتتبّع التاريخي والتحليل والتوصيف جانبًا من تاريخ الإمام علي عليه السلام وسيرته في قضيتين بارزتين في منهجه القرآني في التعامل مع قضايا الأمة الإسلاميّة؛ وهما التسامح والإصلاح السياسي الشامل، ولا سيما في تعامله مع المعارضة الداخليَّة التي سعى أصحابها إلى إسقاطه وحكومته، وإضعاف نهجه المنتمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويُستشف هذا المنهج من مجموع التوجيهات والتعليمات

السياسيَّة والأخلاقيَّة الواردة في خطب نهج البلاغة وكتبه وحكمه في تربية الناس عامة ولا سيَّما المسؤولين الحكوميين.

تمَّ تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة، جاء الأوَّل منها في التنشئة الأسرية وأثرها في النهج السياسي للإمام علي عليه السلام، ويستعرض المبحث الثاني حكمة الإمام علي عليه السلام في التعامل مع مرحلة تولّي الخلفاء للحكم، بينما يسلط المبحث الثالث الضوء على مرحلة حكومة الإمام علي عليه السلام بالتركيز على تجربته في الحكم، وأسلوبه في التعامل مع معارضيه السياسيين، وهذا المبحث هو صلب الدراسة، إذ يتناول مناقشة طبيعة النهج القرآني والسياسي لأمير المؤمنين علي عليه السلام وتحليله بتطبيقه قانون العدل والمساواة، وكيف طبق ذلك في ظلِّ الظروف السياسية التي أحاطت به طيلة مدَّة خلافته، وأخيرًا جاءت الخاتمة مسطرة أهم ما توصل إليه الباحث من استنتاجات.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام علي عليه السلام، النهج القرآني، التسامح، المجتمع الإسلامي.

Abstract

The Islamic history of our Arab nation is rich with political icons who consolidated the principles of Islam and disseminated them based on tolerance and reform. It is widely recognized that the foremost leader of the Islamic state in this regard is the Commander of the Faithful, Ali ibn Abi Talib (PBUH), who ruled during the most critical phase of Islamic history.

The roots of Imam Ali's practical and applied policy of tolerance and reform extend far back—from the period preceding his leadership to the moment he assumed political power. When he ascended to the Caliphate, he remained a man of reform and tolerance; he did not treat his past or present opponents with

vengeance or spite. Instead, his reformist movements in society, administration, and politics—along with all his stances—were firmly grounded in the Holy Quran and the Sunnah of the Messenger of Allah (PBUH).

Through historical tracing, analysis, and description, this study examines two prominent aspects of Imam Ali's Quranic approach to the nation's affairs: Tolerance and Comprehensive Political Reform. It focuses particularly on his dealings with the internal opposition that sought to overthrow his government and undermine his Prophetic-aligned methodology. This approach is discerned through the political and ethical directives found in the sermons, letters, and wisdom of Nahj al-Balagha, which served as a guide for the public and government officials alike.

The study is structured into an introduction and three main sections:

The First Section: Discusses his family upbringing and its impact on his political approach.

The Second Section: Reviews the Imam's wisdom in handling the era of the preceding Caliphs.

The Third Section: Sheds light on the period of his own government, focusing on his governance experience and his method of dealing with political opponents. This section constitutes the core of the study, as it analyzes the nature of his Quranic and political approach through the application of the laws of justice and equality under the complex political circumstances surrounding his caliphate.

Finally, the Conclusion summarizes the most significant findings and results reached by the researcher.

Keywords: Imam Ali (PBUH), Quranic Approach, Tolerance, Islamic Society.

تمهيـــد

تمتدّ جذور الجانب العمليّ والتطبيقيّ لسياسة التسامح والإصلاح للإمام عليّ عليه السلام إلى ما قبل تاريخ قيادته للحكومة الإسلاميّة وحتّى تولّيه القيادة السياسيّة، وعندما آلت إليه الحكومة والخلافة، كان رجل الإصلاح والتسامح أيضًا، فلم يتعامل مع معارضيه بالأمس واليوم بالانتقام والتشفّي، بل كانت حركته الإصلاحيَّة في المجتمع والإدارة والسياسة، وكلّ مواقفه تستند إلى القرآن ونهج رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن المؤكّد أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يُعدُّ أنموذجًا من النماذج الفريدة في الطاعة والولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد تربّى في كنفه وتشبّع بعلمه، وعايش معه كلّ مراحل الدعوة والرسالة، وفي الوقت الذي كان فيه العبد الفقير الخاضع لله تعالى، كان أيضًا القائد الشجاع الحكيم الذي لا يخشى في الله لومة لائم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين؛ ونراه دومًا متسامحًا حريصًا على حفظ الإسلام وأمور المسلمين.

وعندما آلت إليه الحكومة والخلافة كان رجل الإصلاح والتسامح، ومن المؤكّد أنّ حركته الإصلاحيَّة في المجتمع والإدارة والسياسة كانت تستند إلى تعاليم القرآن ونهج رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلم يتعامل مع معارضيه بالانتقام والتشفّي، بل حرص على إقامة العدل ومواجهة الظالمين ونصرة المظلومين والمستضعفين وإعادة الحقوق إلى من يستحقّها؛ ومن هنا قدّم أنموذج الحاكم صاحب المشروع الإصلاحيّ المتكامل للدولة والمجتمع.

وعندما اضطُرّ إلى مواجهة المعارضة والفتن الداخليّة في المجتمع الإسلاميّ؛ كفتنة المنشقّين والخوارج، وهي الفتنة التي كانت أكثر خطورة وضررًا، كان تعامله مع كلّ أحداثها وشخصيّاتها مَثَل يُحتذى به في السياسة والحكمة والاستيعاب، تشهد على ذلك نصوص توجيهاته الكثيرة لهذه الفئات، وقد كان دائمًا ملتزمًا بما نصّ

عليه كتاب الله وهدْي رسوله صلى الله عليه وآله والسعي الدائم للإصلاح السياسيّ والدينيّ، في الوقت الذي لم تكن منطلقات المعارضين كذلك.

ويؤكّد الإمام علي عليه السلام على حقيقة مهمّة وهي أن يكون صاحب السلطة في الدولة متعلّمًا؛ لأنّه بعلمه يكون قدوة للناس، وأنّ تعليمه وتأديبه لنفسه يجب أن يكون بالسيرة، أي بالعمل لا بالقول؛ لأنّ الذي يحكم به بين الناس هو أعماله قبل أقواله، وهناك الكثير من كلماته القصار التي تدلّ على نهجه السياسيّ هذا، منها قوله: ((مَنْ نَصَبَ نفسه للناس إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بِسِيرَتِهِ قبل تأديبه بلسانه، وَمُعَلِّمُ نفسه ومؤدّبها أَحَقُّ بالإجلال من مُعَلِّمِ الناس ومؤدّبهم))[1].

ومن أقواله في التسامح مع معارضيه أو أعدائه: ((إِذا قَدَرْتَ على عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للقدرة عليه))[2]، ويؤكّد هذا القول إنّ القدرة التي يمتلكها صاحب السلطة يجب أن يتحلّى معها بالحلم الذي يمكّنه من التسامح والعفو عن العدو في وقت المقدرة؛ ليكون شكرًا على تلك المقدرة التي مكّنه منها الله عزّ وجلّ وكانت رؤيته عليه السلام دائمًا تنحصر في أنّ صاحب السلطة السياسيّة وإن تمثّل ذلك بالخليفة نفسه وهو في أعلى سلّم السلطة في الدولة الإسلامية لا تكون له طاعة إذا كانت طاعته تؤدّي إلى معصية الله عزّ وجلّ، وغير ذلك الكثير من كلامه عليه السلام الذي يدلّ على نهجه السياسيّ النابع من فهمه لتعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف.

ولأنّ الدين الإسلاميّ يوجب على أتباعه حلّ المنازعات بينهم وبين غيرهم بالتسامح والطرق السِّلْمية فقد امتازت سياسة السِّلْم والتسامح عند الإمام

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٤/ ٩٨ .

(٢) م. ن: ٨٤ .

عليّ عليه السلام بأعلى مستويات القرب والتَّماس مع المنظور القرآنيّ، سواءً كان ذلك على الصعيد النظريّ أم على الصعيد التطبيقيّ العمليّ؛ فمن الناحية النظريّة أكّد الإمام عليه السلام مبدأ السلم والتسامح بوصفه أصلًا يجب أن يكون له الصدارة في التعامل مع الآخر، وهذا ما نجده في نصوص عدّة أشار بها، منها قوله لأحد قادة جيش الشام الذي أنفذه: ((ولا تقاتلنّ إلّا من قاتلك، ولا تدنُ من القوم دنوّ مَن يريد أن ينشب الحرب))[1].

أمّا الجانب العمليّ والتطبيقيّ لسياسته عليه السلام السلمية فتمتد جذورها إلى ما قبل تاريخ قيادته للحكومة الإسلاميّة، فمنذ رحيل قائدها الأوّل وهو الرسول صلى الله عليه وآله وحتّى تولّيه للقيادة السياسية نرى أنّه عليه السلام كان يتصرّف كأنّه الإمام المستخلف على حفظ الشرع والرسالة الإسلاميّة، وعلى صياغة الواقع الإسلاميّ وإن لم يكن هو الحاكم الفعليّ.

مشكلة البحث

إنّ النهج القرآنيّ الذي التزم به الإمام عليّ عليه السلام هو أحد المجالات التطبيقيّة والعمليّة التي لها الأثر المهم والعميق في تكوين اتجاهات ثقافة الأمّة وتكوين ثقافة عامّة للمجتمع. وإذا كانت المسألة بهذه الأهميَّة فقد اتّجه البحث إلى التركيز على الحقائق العمليّة في حياة الإمام عليه السلام في هذا المجال، وربما تكون مثل هذه الدراسات المستقاة من حضارة الأمّة وأعلامها هي الأقوى أثرًا في بناء المجتمعات المتحضرة.

وعليه كان تأصيل الفكر السياسيّ المنبثق من المنهج القرآنيّ بالعودة إلى تراث الأمّة الإسلاميّة، هو ما حمل الباحث على الكتابة في النهج القرآنيّ عن عَلَم من أَعْلامِ الأُمّة الإسلاميّة فكرًا ومنهجًا وقولًا وعملًا وتربية وسلوكًا، هو الإمام علي عليه السلام ، متمنّيًا أن أوفّق في صياغة أفكار ومبادئ سياسة عامّة في التسامح والإدارة توفّر لأبناء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩٢ .

الأمّة الإسلاميّة الحصانة اللازمة ضدّ التيارات الفكريّة والسياسيّة الحديثة وعودة الأمّة الإسلاميّة إلى الشخصيّة الإسلاميّة المتميّزة.

أهميّة البحث

شغلت شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام الدارسين على مختلف مدارسهم الفكريّة والمذهبيّة، وأفردوا له دراسات شملت جوانب عديدة من شخصيّته، ولكنّ جانب النهج القرآنيّ في السياسة لم يحظ عندهم بدراسة كافية، وإنْ دُرِس فهو يحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة؛ ولذلك ستسهم الدراسة في الكشف عن النهج القرآنيّ في فكر الإمام عليّ عليه السلام السياسيّ والسلميّ، و ستسهم أيضًا في الردّ على القائلين بأنْ ليس للمسلمين أثر في السياسة العالميّة، وإنّما ينحصر أثرهم فقط في النقل عن الشعوب الأخرى ولاسيما الغربيّة منها، و تكمن أهميّة الدراسة أيضًا في حاجة الأمّة الإسلاميّة إلى من يذكّرها بتراثها وفكر عظمائها، ومن ثَمّ إثراء المكتبات العربيّة بالبحوث والدراسات الخاصّة بالفكر الإسلاميّ السياسيّ لحاجة الأمّة الماسّة لها.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى إظهار النهج القرآنيّ في سياسة الإمام عليّ عليه السلام ، والإفادة من جوانبه المهمّة من أجل تأصيل الفكر السياسيّ الإسلاميّ، و يهدف إلى توجيه أنظار الباحثين في هذا المجال للإفادة من الفكر والممارسات السياسية للإمام عليّ عليه السلام ، هذا إضافة إلى الاهتمام بما قدم المسلمون الأوائل من نتاج سياسيّ ولاسيما آل بيت النبوّة.

حدود البحث

كتاب نهج البلاغة للشريف الرضيّ وابن أبي الحديد، وكتاب أصول الكافي للكلينيّ من خلال اعتماد مجموعة من الخطب وبيان الجوانب السياسيّة فيها، إلى جانب بعض المصادر التاريخيّة المعتبرة والأصيلة.

منهجيّة البحث

تتناول هذه الدراسة بالتتبّع التاريخيّ والتحليل والتوصيف جانبًا من تاريخ الإمام عليّ عليه السلام وسيرته في قضيّتين بارزتين في منهجه القرآنيّ في التعامل مع قضايا الأمّة الإسلاميّة؛ وهما التسامح والإصلاح السياسيّ الشامل، ولا سيما في تعامله مع المعارضة الداخليَّة التي سعى أصحابها إلى إسقاطه وحكومته، وإضعاف نهجه المنتمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويُستشفّ هذا المنهج من مجموع التوجيهات والتعليمات السياسيَّة والأخلاقيَّة الواردة في خطب نهج البلاغة وحكمه في تربية عامّة الناس وبخاصّة المسؤولين الحكوميّين.

تم تقسيم هذه الدراسة على مقدّمة وتمهيد وثلاثة مباحث رئيسة، جاء الأوّل منها في التنشئة الأسريّة وأثرها في النهج السياسيّ للإمام عليّ عليه السلام ، ويستعرض المبحث الثاني حكمة الإمام عليّ عليه السلام في التعامل مع مرحلة تولّي الخلفاء للحكم، بينما يسلّط المبحث الثالث الضوء على مرحلة حكومة الإمام عليّ عليه السلام بالتركيز على تجربته في الحكم، وأسلوبه في التعامل مع معارضيه السياسيّين، وهذا المبحث هو صلب الدراسة، إذ يتناول مناقشة طبيعة النهج القرآنيّ والسياسيّ لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام بتطبيقه قانون العدل والمساواة، وكيف طبّق ذلك في ظلّ الظروف السياسيّة التي أحاطت به طيلة مدّة خلافته، وأخيرًا جاءت الخاتمة مسطّرة أهمّ ما توصّل إليه الباحث من استنتاجات.

المبحث الأوّل: أثر التنشئة الأسريّة في نهج الإمام عليّ عليه السلام

١ – إعداده عليه السلام في بيت النبوّة

عاش الإمام عليٌّ عليه السلام منذ طفولته في كنف النبيّ صلى الله عليه وآله؛ إذ نشأ في ظلّ أخلاقه السماويّة الساميّة، وربّاه صلى الله عليه وآله وفقًا لما علّمه ربّه تعالى، وظل عليٌّ عليه السلام ملازمًا له صلى الله عليه وآله

ولم يفارقه حتّى وفاته، ولهذا لم يُرَ الإمام عليّ عليه السلام بعيدًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا نادرًا، وما من أمر حدث إلّا كان لعليٍّ عليه السلام مَعْلَم فيه وأثر، وقد اختاره النبيّ صلى الله عليه وآله أخًا له لتزداد هذه العلاقة وثوقًا ومتانةً، وقال في ذلك: ((من آذى عليًا فقد آذاني))[١]، وقد ورد عن أبي سعيد الخدريّ قوله: ((كانت لعليّ درجة لم تكن لأحد من الناس فهو أوّل من صلّى مع النبيّ))[٢] ، وقد قال عليه السلام : ((وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علمًا ويأمرني بالاقتداء به))[٣].

٢- التنشئة وأثرها في علم الإمام عليه السلام

كان علم الإمام عليّ عليه السلام من السعة بحيث أنّ شعاعًا واحدًا منه لو تبلّج لكان حريًّا أن يبهر العقول، لقوله عليه السلام : ((اندمجت على مكنون علم لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشيّة في الطوي البعيد))[٤] . ومن الصعوبة بمكان تحرّي جميع الجوانب ومعرفة الزوايا كافّة في علم إنسان وقف يصدع بعلوّ قامته، ويهتف بصلابة ورسوخ: ((سلوني قبل أن تفقدوني))، ثمّ لم يعجز عن جواب سؤال قطّ، ولم يسجّل التاريخ مثيلًا لهذه الظاهرة، ولم تعرف الإنسانيّة في ماضيها وحاضرها من نطق بمثل هذه المقولة أبدًا[٥] .

ويسوق إلينا الإمام عليه السلام ما يدلّنا على استقائه علم رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال ما

---

(١) حياة الصحابة: ٢/ ٥٩٢ .

(٢) أنساب الأشراف: ١/ ١١٢ .

(٣) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٢/ ١٥٧ .

(٤) م. ن: ١/ ٤١ .

(٥) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: ١٠/ ٩ .

أشار إليه بقوله: ((وكان لا يمرُّ من ذلك شيء إلّا سألته عنه وحفظته))[١]، وقوله عليه السلام : ((لأنّي كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكتُّ ابتدأني))[٢]. وقوله عليه السلام : ((سلوني عن كتاب الله فإنّه ليس من آية إلّا وقد عَرَفْت بليل نَزَلَت أم بنهار في سهل أم في جبل))[٣].

ولأنّ الإمام عليه السلام كان التلميذ الأوّل الذي تعلّم على يد أكثر خلق الله علمًا وهو الرسول صلى الله عليه وآله، لذلك كان يرى نفسه – عن ثقة – في درجة من العلم لا يدانيه فيها أحد، فقد ورد عن الأصبغ بن نباتة أنّ الإمام عليه السلام لمّا ولي الخلافة صعد المنبر فقال: ((يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقّني رسول الله صلى الله عليه وآله زقًا زقًا، سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين))[٤].

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله في غاية الحرص في تربية عليّ عليه السلام وإرشاده إلى اكتساب الفضائل، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود ((استدعى رسول الله صلى الله عليه وآله عليًا عليه السلام فخلا به، فلمّا خرج إلينا سألناه ما الذي عهد إليك؟ فقال: علّمني ألف باب من العلم وفتح لي من كلّ باب ألف باب))[٥]، وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن سعيد بن المسيب قال: ((لم يكن أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يقول سلوني إلّا علي بن أبي طالب))[٦]، ولم يكن هناك دليل أقوى ممّا رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه))[٧].

---

(١) المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: ٥٠، وينظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب: ١٠/ ١٢ .
(٢) كتاب الطبقات الكبير: ٢/ ٢٩٢ .
(٣) م. ن: ٢/ ٢٩٢.
(٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ١٠/ ١١٧– ١١٨، وينظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب: ١٠/ ١٣ .
(٥) الإرشاد: ٣٢ .
(٦) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١/ ١١١ .
(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣/ ١١٠٢ .

وكانت القضايا التي تناولها الإمام عليه السلام في مجالات معرفة الله ومعرفة الدين والشؤون الاجتماعيّة والسياسيّة وخاصّة في باب علم الأخلاق، تُعدّ كلّ واحدة منها فريدة في مجالها، ويمكن الاستفادة منها في صياغة ورسم الخطوط العريضة في السياسة الإسلاميّة وتنظيم قواعد الأخلاق الدينيّة، وقد أكّد صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله على هذا المفهوم بوصفهم للإمام عليه السلام عندما قالوا: ((عليٌّ أعلم الناس بالكتاب والسنّة))[١]، وإلى هذا المعنى يشير الإمام عليه السلام بقوله: ((فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي وعلَّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علمًا أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئًا علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون منزلًا على أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علمنيه وحفظته، فلم أنسَ حرفًا واحدًا))[٢].

ولعلّ هذا هو الذي جعل ابن أبي الحديد المدائني يصف الإمام علي عليه السلام بأنّه أصل علم الفقه وأساسه، فقال: ((ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه... وأمّا فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وأمّا فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عبّاس وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام، أمّا ابن عبّاس فظاهر، وأمّا عمر فقد عرف كلُّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أُشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة وكذا فقهاء المذاهب الأربعة))[٣]. وبالإضافة إلى ذلك يعدّ الإمام عليه السلام واضع علم النحو وهو من أهم

(١) الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت: ١/ ٧٤.
(٢) أصول الكافي: ١/ ١٣٢، وينظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب: ١٠/ ١٥.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٨.

الفروع الأدبيّة؛ وهو العلم الذي أصبح فيما بعد من أكثر الجوانب ضرورة لصيانة القرآن من التحريفات النحويّة[١].

ولا تشكّل الأقوال التي مرَّ ذكرها إلّا جزءًا ضئيلًا ممّا ذُكِر بشأن علم الإمام عليٍّ عليه السلام، ولسنا في هذه الدراسة بصدد تقصّي هذه الأقوال لكي نأتي على ذكرها بأجمعها، وإنّما عمدت إلى الإشارة والتنويه عن مكانة الإمام العلميّة التي تميّز بها عن سائر الصحابة من الجيل الأوّل في الإسلام، ومن المسلّم به أنّ حياة الإمام عليه السلام هي أفضل أنماط الحياة التي شهدتها الإنسانيّة على مدى تاريخها وحتّى الوقت الحاضر.

٣- تنشئته عليه السلام وأثرها في نهجه السياسي

أرسى رسول الله صلى الله عليه وآله الدعائم السياسيّة للدولة الإسلاميّة ومن بعده جاء دور أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي استخدم الوسائل المتاحة كلّها لإقامة الحياة الطيّبة للأمّة الإسلاميّة في مختلف مناحي الحياة ومنها الحياة السياسية التي كفلت للأمّة الإسلاميّة العدالة والمساواة.

ومن أجل مضي الحياة في الدولة الإسلاميّة على طريق الإصلاح وضع الإمام عليه السلام نظامًا سياسيًا قائمًا على كتاب الله ومستمدًّا من سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله التي اكتسب مبادئها وتعلّمها في بيت النبوّة منذ بداية نشأته الأولى التي كانت سببًا رئيسًا في تمكينه عليه السلام لوضع ذلك النظام السياسيّ الذي يتّضح مدلوله وأهميّته وأثره على المجتمع الإسلاميّ على مدى القرون من طريق كلماته وممارساته العمليّة؛ وقد انعكس كلّ ما اكتسبه عليّ عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله بمختلف علوم الدين الإسلاميّ وأحكامه على النهج والطريق السياسيّ الذي اختطّه لنفسه وتعامل به ومارسه في مدّة خلافته، وليس أدلّ لنا اليوم على ذلك من كتاب (نهج البلاغة) الذي كثرت حوله الشروح

(١) ينظر: الحياة الفكرية والسياسية لأئمّة أهل البيت: ١/ ٧٦ .

والدراسات من قبل الكثير من المؤرّخين والباحثين إلى الوقت الحاضر.

٤- أثر تنشئته عليه السلام على تسامحه

إنّ من يتأمّل مواقف الإمام في سيرته عليه السلام يتبيّن له أنّه كان يدعو بشكل حثيث إلى العفو والتسامح والسلام، بل كان يعتمد على العفو والصفح واللين، ولا عجب أن تكون شخصيّته عليه السلام على تلك الصورة التي تجسّدت فيها أخلاق الإسلام ومُثُله، ولِمَ لا؟ فقد تعهّده رسول الله صلى الله عليه وآله طوال حياته فنهل من بحر تسامحه وعفوه.

وعلى الرغم من أنّ الإمام عليه السلام كان شديدًا في تطبيق تعاليم الدين وما جاء به القرآن الكريم، إلّا أنّه كان يبدي في بعض الأمور تسامحًا كبيرًا لا يخرج عن مبادئ الدين، ويظهر هذا التسامح جليًّا فيما إذا تعلّق الأمر بشخصه، فكم من أمر تركه عليه السلام تسامحًا في حقّه لسبب من الأسباب كان يرى أنّ تركه مصلحة للإسلام والمسلمين، ولعلّ من أهم ما حاول تركه من حقه خلافةَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بيَّن أسباب تركه ذلك فيما رُوي عنه لمّا أراده الناس على البيعة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، فقد قال: ((دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان))[١].

تسامح الإمام عليه السلام تجاه الذين رفعوا السلاح في وجهه في واقعة الجمل، وحرص على عدم معاملتهم بمثل ما عاملوه به، فما أن انقشع غبار المعركة حتّى نادى منادي الإمام عليه السلام: ((ألا لا يُجهَز على جريح ولا يُتبَع مُوَلٍّ ولا يُطعن في وجه مُدبِر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وأن لا يؤخَذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلّا ما وجد في عسكرهم من سلاح أو غيره ممّا استخدم في القتال، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم))[٢].

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ١/ ١٨١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٨٢.

وتتجلّى صورة أخرى من صور تسامح الإمام عليه السلام في معركة صفين حينما منع معاوية بن أبي سفيان جيش الإمام من الوصول إلى ماء الفرات وحبس الماء عنهم، ولمّا طلب منه الإمام عليه السلام أن يسمح لجيشه بالاستقاء أبى معاوية ذلك، وأضرّ العطش كثيرًا بأهل العراق، وعندما تمّت إزاحة قوات معاوية عن ضفّة النهر لم يقابل الإمام عليه السلام أهل الشام بفعل ما فعلوا، وإنّما فسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة[١].

وعندما حصلت موادعة ووقف للقتال كهدنة مؤقّتة بين الطرفين على أمل الوصول إلى اتّفاق، حاول من خلالها الإمام عليه السلام التوصّل إلى الصلح، وعلى الرغم من الدعوة إلى السلم وجمع الكلمة وحقن الدماء التي وجهها الإمام عليه السلام إلى معاوية وأهل الشام والتي جاء فيها: ((إنّي قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه وإني قد نبذت إليكم على سواء، إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين، فلم يردّوا إليه جوابًا إلّا السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منّا))[٢]، بينما بقيت دعوة معاوية وأهل الشام إلى رفض البيعة للإمام عليه السلام والطلب بدم عثمان بن عفّان[٣].

المبحث الثاني: الإمام علي عليه السلام وحكمته السياسيّة في التعامل أثناء مرحلة تولّي الخلفاء للحكم

لم تُنسِ الأحداث التي جرت بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله الإمامَ علي عليه السلام أنّه الوصيّ على هذه الأمّة وعلى تطبيق الرسالة الإسلاميّة، وعلى الرغم من عدم تولّيه الخلافة وقف ليُدلي بآرائه الصائبة في أمور المسلمين موضّحًا قواعد الدِّين الصحيحة في كلّ

(١) ينظر: الكامل في التاريخ: ٣/ ١٦٧ - ١٦٨، ومروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢/ ٢٩٤ .
(٢) مروج الذهب: ٢/ ٢٩٤ .
(٣) ينظر: تاريخ اليعقوبيّ: ٢/ ٨٧ .

موقف، فكان عليه السلام مشاركًا في شؤون الحياة الإسلاميّة من قضاء واجتماع وإدارة في عهد أبي بكر ومن تولّى بعده من الخلفاء.

وقد أبدى الإمام علي عليه السلام تعاونًا واضحًا مع الخلفاء في إطار حفظ مصالح الإسلام في الجوانب السياسيّة والعسكريّة، وكان الإمام عليه السلام هو أحرص النّاس على سلامة الرّسالة وسلامة المجتمع الإسلاميّ وأكثرهم التزامًا بها، وتتّضح هذه السياسة في إعلانه الصريح: ((لقد علمتم أنّي أحقُّ بها من غيري، ووالله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلّا عليّ خاصّة التماسًا لأجر ذلك وفضله وزهدًا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه))[1]. وقد شرح الإمام موقفه في هذه المرحلة في وقت لاحق في الكتاب الذي وجّهه إلى أهل مصر، عن طريق مالك الأشتر عندما ولّاه إمارتها، وقد جاء فيه: ((فأمسكت يدي، حتّى رأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، فخشيت إنْ لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلمًا أو هدمًا تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم، فنهضت في تلك الأحداث))[2].

ولهذا نجد أنّ مواقف أمير المؤمنين عليه السلام في سنوات الخلافة التي سبقت تولّيه الحكم، تؤيّد تدخّله الفعّال بعلمه وفطنته ودعمه الدائم للحفاظ على الإسلام ومجتمع المسلمين؛ كما تشير أجوبته وإرشاداته للخلفاء السابقين عليه إلى ما أفاد به الأمّة فيما يتعلّق بالقضايا السّياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة وغيرها، وقد نُقِلت جلّها في نهج البلاغة وغيرها من كتب الحديث والتّاريخ، وهي شاهدة على توافق آرائه مع ما جاء في الكتاب والسنّة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ١٦٦ .

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٣/ ١١٩ .

١ - مواقف الإمام عليه السلام وعلاقته مع الخليفة الأوّل أبي بكر

كان للإمام عليه السلام موقفًا تاريخيًّا بعد تولّي أبي بكر للخلافة، يشهد له التاريخ الإسلاميّ كشخصيّة وضعت كتاب الله ومصلحة الإسلام والمسلمين نصب عينيها في إطار دينيّ وسياسيّ قلَّ أن تتّصف به شخصيّةٌ ونفسٌ صافيةٌ زاهدةٌ كشخصيّة الإمام عليّ عليه السلام [١]، فقد ورد عن الإمام وهو يذكر بيعة أبي بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: ((فما راعني إلّا انثيال الناس على أبى بكر، وإجفالهم إليه ليبايعوه، فأمسكت يدي، فلبثت بذاك ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين الله وملّة محمّد صلّى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلمًا وهدمًا يكون المصاب بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل، ثمّ يزول ما كان منها كما يزول السراب، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتّى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولّى أبو بكر تلك الأمور، فيّسر وسدّد، وقارب واقتصد، وصحبته مناصحًا، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدًا، وما طمعت أن لو حدث به حادث وأنا حيّ أن يرد إليّ الأمر الذي نازعته فيه طمع مستيقن، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه، ولولا خاصّة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنّه لا يدفعها عنّي، فلمّا احتضر بعث إلى عمر فولّاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا)) [٢].

ويُذكر أنّه عندما حرّض أبو سفيان الإمام عليه السلام على طلب الخلافة عندما وُلّي أبو بكر جاء ردّ الإمام واضحًا قاطعًا، فقد ذكر ابن أبى الحديد: أنّ أبا سفيان جاء إلى علي عليه السلام، فقال: ((ولّيتم على هذا الأمر أذلّ بيت في قريش، أما والله لئن شئت

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢١٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ٩٥ ، وينظر: الغارات: ١/ ٣٠٧ .

لأملأنّها على أبي فصيل خيلًا ورجلًا، فقال علي عليه السلام: طالما غششت الإسلام وأهله، فما ضررتهم شيئًا، لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك))[١].

وهكذا كانت علاقة الإمام علي عليه السلام بأبي بكر، فقد كان يشترك بحسب ما يتاح إليه في قضايا الدولة وأمور الناس[٢]، ويشير عليه بالأنفع والأصلح[٣].

مواقف الإمام عليه السلام وعلاقته مع الخليفة عمر بن الخطاب

كان الإمام عليه السلام يعالج كثير من المشاكل السياسية والعلمية والاجتماعية في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ولا أدل على مكانة الإمام عليه السلام عند ابن الخطاب إلا قول الأخير: «عليٌّ أقضانا وأُبيٌّ أقرؤنا»[٤].

مواقف الإمام عليه السلام وعلاقته مع عثمان بن عفان

لما اجتمع الناس بالإمام عليه السلام وشكوا إليه ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، دخل عليه السلام على عثمان فقال: «إن الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدرى ما أقول لك، ما أعرف شيئًا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه، ولا خلونا بشئ فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك فإنك والله ما تبصر من عمَى، ولا تعلم من جهل، وإن الطرق

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٤٥ .

(٢) الإرشاد، المكتبة الحيدرية بالنجف الأشرف، ١٩٦٣م، ص١٠٧؛ عجائب أحكام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ص٤٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٩؛ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، مج٣، ص٧٨.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١١٠٢؛ كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص٢٩٣.

لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة، فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدِيَ وهَدَى، فأقام سُنة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع لظاهرة لها أعلام وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضَلَّ وضُل به، فأمات سُنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر، وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها»[١].

وهناك العديد من القضايا التي قضى فيها الإمام علي عليه السلام في عهد عثمان وهي القضايا التي كانت تستعصي في فقهها على ولي الأمر، من بينها المرأة التي نكحها شيخ كبير فحملت منه فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها، وبعد مساءلة الإمام له واستفساره، قال: «الحمل له والولد ولده، وأرى عقوبته على الإنكار» فصار عثمان إلى قضائه بذلك وتعجب منه[٢]. وقضية الرجل والمرأة اللذين ارتفعا إلى عثمان يختصمان تقول: هذا عبدي، ويقول: هي امرأتي ولست مفرجًا عنها، فقال عثمان: هذه مشكلة وعليٌّ حاضر !!، ولما استمع الإمام عليه السلام منهما قال: «لو أعلم أنه فعل ذلك لعذبته، اذهبي فإنه عبدك ليس له عليك سبيل، إن شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذلك لك»[٣].

وروى الكليني عن الإمام الباقر عليه السلام أن الوليد بن عقبة شُهد عليه بشرب الخمر، فقال عثمان لعلي عليه السلام اقض بينه وبين هؤلاء الذين زعموا أنه شرب الخمر،

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٢٦١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٢، ص٦٨.

(٢) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،ج٢١، ص٣٧٩.

(٣) عجائب أحكام أمير المؤمنين، ص٨٩، ٩٠؛ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٤٠، ص٢٥٧.

فأمر عليه السلام فجُلد بسوط له شعبتان أربعين جلدة[١]. وقد ذكر اليعقوبي أن الوليد لما قدم على عثمان فقال من يضربه؟ فأحجم الناس لقرابته وكان أخًا لعثمان، فقام عليٌّ فضربه[٢].

المبحث الثالث: نهج الإمام علي عليه السلام القرآني في سبيل الإصلاح السياسي في مرحلة حكومته

بات من المؤكد أن فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام السياسي كان نابعًا من عمق فهمه لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي أخذها من منبعها وهو الرسول صلى الله عليه وآله، لذلك نجده يلتزم بهذه التعاليم التزامًا يفوق ما لغيره من الساسة وحكام الدول الإسلامية على مر العصور وكانت هذه السياسة التي نهجها طيلة مدة خلافته قائمة على الحرية والتسامح والتي كان شعارها الأول العدل والحرية والمساواة.

ومن أجل ذلك كان لابد من الاستفادة من نهجه عليه السلام ، والاستنارة بسيرته العطرة والاتعاظ بأقواله وأفعاله التي تعامل بها مع معارضيه السياسيين مدة خلافته والتي انعكست بدورها على المجتمع الإسلامي سواء في عهده عليه السلام أو حتى وقتنا الحاضر والتي تُعد بكل المقاييس نبراسًا وضاحًا لمن أراد التحضر والتقدم في ظل مبادئ العدل والمساواة، وما من حكومة اتبعت -حتى ولو بدون قصد- نهجه القرآني في هذا المجال إلا وقد تكللت مساعيها بالنجاح وتحقيق الحياة الكريمة للمجتمع بكل فئاته حكامًا ومحكومين وعَمَّ بينهم السلام والتسامح.

وقد بدأت المسيرة السياسية للحكومة العلوية والتي تعتبر حالة استثنائية في

---

(١) الفروع من الكافي: ج٧، ص٢١٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٥.

تاريخ الحكومات على أسس واضحة من الكتاب والسُّنة، ويثبت هذا الواقع اهتمام العلماء المسلمين وحتى غير المسلمين بدراسة هذه الحالة لحكومة قصيرة العمر لعبت دورًا مصيريًا، دراسة تحليلية من جميع الزوايا والأبعاد السياسية والتاريخية والعسكرية، وغير ذلك؛ ما أدّى إلى وجود آثار كبيرة وضعت أمام أصحاب الرأي والنظر، وكان لها تأثيراتها المختلفة على المجتمع الإسلامي.

أولًا: نهج الإمام عليه السلام السياسي في البيعة

نستدل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام على أن بيعته كانت بيعة عامة، بايعه بها المهاجرون والأنصار من أهل الشورى وعامة المسلمين في المدينة المنورة، وقد أكد هذا الأمر الكثير من المصادر التاريخية وحرص الإمام عليه السلام على أن يتلقى بيعته في المسجد، وفي اليوم التالي سار نحو المسجد تحفه جماهير المسلمين من المهاجرين والأنصار وغيرهم[١]، ثم اعتلى المنبر وخاطبهم قائلًا: «يا أيها الناس، إنّ هذا أمركم ليس لأحدٍ فيه حقّ إلا من أمّرتم، وقد افترقنا بالأمس وكنت كارهًا لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون الإمام عليكم، ألا وإنه ليس لي أن آخذ درهمًا دونكم، فإن شئتم قعد لكم، وإلا فلا آخذ على أحد». فهتفوا بصوت واحد: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس وقالوا: نبايعك على كتاب الله، فقال عليه السلام : اللهم اشهد عليهم»[٢]، فبايعه عامة المسلمين وكبار الصحابة، وبلغ سرور الناس بهذه البيعة أقصاه، ووصف الإمام عليه السلام ذلك بقوله: «وبلغ سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير، وحَسَرَت إليها الكِعاب»[٣].

---

(١) الإمامة والسياسة: ص٤١-٤٢.

(٢) بحار الأنوار الجامعة، ج٣٢، ص٨؛ دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية، ج١، ص٥٠٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٣، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، ج٤، ص٧٥.

وقد اتضح من موقف الإمام عليه السلام إرساء مبدأ الديمقراطية في حرصه عليه السلام على عدم إجبار معارضيه على مبايعته بالقوة بل إعطائهم مطلق الحرية في اتخاذ قراراتهم[١].

وقد ورد في المصادر التاريخية العديد من الأخبار والروايات التي تشير إلى النهج القرآني في التسامح المؤدي إلى الإصلاح السياسي للإمام علي عليه السلام في عدم أخذ البيعة من الذين رفضوا المبايعة بغير رغبتهم ودون استعمال قوة الردع أو حتى التلويح بها، فقد ورد في رواية الدينوري، "إن الذين اعتزلوا الإمام علي عليه السلام ورفضوا مبايعته هم: عبد الله بن عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة، فأرسل لهم عمار بن ياسر لإقناعهم بالبيعة والوقوف إلى جانب الإمام علي عليه السلام ، لكنهم رفضوا فتركهم دون إكراه على البيعة[٢]، وقال : «... وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأسامة وعبد الله وحسان بن ثابت أمور كرهتها والحق بيني وبينهم»[٣]. ويتبين من هنا أنه لم يكرههم على البيعة وتركهم لشأنهم فقط، بل أكد أنه سيتعامل معهم بالحق أي بالعدل الذي فرضه دينهم عليه وعليهم.

وتبين لنا رواية اليعقوبي أسلوبًا سياسيًا آخر في المناظرة وتفنيد القول والرد بما يثبت الحق، ويُعد هذا منهجًا قرآنيًا آخر سلكه أمير المؤمنين عليه السلام في التعامل مع المعارضين والكارهين، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل:١٢٥، حيث ذكرت الرواية: «وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة؛ وكان لسان القوم، فقال يا هذا إنك قد وترتنا جميعًا، أمَّا أنا فقتلت أبي صبرًا يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر وكان أبوه من نور قريش، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه ... فتبايعنا على أن تضع عنا ما

(١) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٠- ١٩١.
(٢) الإمامة والسياسة، ص٥٩، ٦٠.
(٣) بحار الأنوار الجامعة، ج٣٢، ص٣٣؛ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، ج٤، ص٨٢.

أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا، فغضب علي وقال: أما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غدًا، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنَة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق ...»[١].

وتؤكد شهادة مروان بن الحكم أيضاً على النهج السياسي العادل للإمام عليه السلام مع رافضي بيعته حيث أورد الدينوري، «وذكروا أن مروان بن الحكم لما بويع عليٌّ هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له: ما وراءك؟ فقال مروان: غُلبنا على أنفسنا، فقال له رجل من أهل مكة: إياك وعليًّا فقد طلبك ففِرَّ من بين يديه، فقال مروان: لم؟ فوالله ما يجد إليَّ سبيلًا أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن ولا ينصب إلي إلا على اليقين ...»[٢].

بيَّنت هذه الروايات ملامح النهج السياسي لأمير المؤمنين علي عليه السلام في التعامل مع معارضي بيعته، إذ أن جميع من أبى بيعته عليه السلام إنما فعلوا ذلك لأسباب وربما لأطماع شخصية، وحسب نهجه السياسي يتضح أن الإمام عليه السلام كان يسير وفق ما تمليه عليه أحكام كتاب الله وسنَة نبيه، ولم يأخذهم بالإكراه في البيعة بل قال لهم: «وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم»[٣].

ثانيًا: في تعامله مع المنشقين والخارجين على نظام حكومته

تعددت الوسائل السياسية التي اتبعها الإمام عليّ عليه السلام والتي تجلى فيها نهجه القرآني في تعامله مع المنشقين والخارجين على حكومته والذين تجهزوا لقتاله، وهم

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٧، ١٦٨؛ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، ج٤، ص٨٤.
(٢) الإمامة والسياسة، ج١،ص٥٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٨.

طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأتباعهم الذين قاتلوه في معركة الجمل، ومعاوية بن أبي سفيان الذي قاتله في معركة صفين، بالإضافة إلى الخوارج ومعركتهم معه في النهروان. وقد تنوعت وسائله عليه السلام في التعامل معهم بسبب كونهم من المسلمين، حيث نجده عليه السلام قد حاول جهده من أجل تبصيرهم لاتباع الحق والسير في الطريق القويم ومنعهم من الفتنة التي تؤدي إلى سفك دماء المسلمين.

وقد بيّن السياسة التي سوف يتبعها مع الذين خالفوه وانشقوا عليه، فكان يرى أن حكم المشاغب للإمام بعد انعقاد بيعته أن يُستعتب أي يطلب منه العتبى والرجوع إلى الحق والطاعة بلين القول في أول مشاغبته، ويتضح في ذلك نهجه القرآني وذلك بحكم مقتضى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾الحجرات:٩، وقد أكد هذا المفهوم أيضًا من خلال خطبته التي جاء فيها: «أيها الناس إن أَحَقَّ النَّاس بهذا الأمر أَقْوَاهُم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإِن شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ ، فَإِن أَبى قوتل ...أَلا وإني أقاتل رَجُلَيْنِ: رجلًا ادعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه، أوصيكم بتقوى الله فإنها خير ما تَوَاصَى العباد به، وخير عواقب الأمور عند الله، وقد فُتِحَ باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا الْعَلَمَ إِلا أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق فَامْضُوا لما تؤمرون به، وَقِفُوا عند مَا تُنْهَوْنَ عنه، وَلا تَعْجَلُوا في أَمر حتى تَتَبَيَّنُوا، فإن لنا مع كل أمر تنكرونه غِيَرًا ...»[1].

وأكد عليه السلام أنه متسامح مع الجميع سواء بايع أو لم يبايع، وأنه لن يقاتل إلا فئتين من الرجال دون غيرهم من فئات المجتمع، فئة تدَّعي ما ليس لها، وفئة تشق عصا الطاعة وتعلن العصيان على مسايرة الركب، وكانت هذه المعاني في قوله: «رجلًا ادَّعى

(١) نهج البلاغة، ج٩، ص٨٦، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٣٢٨.

ما ليس له، وآخر منع الذي عليه»، فهو يشير إلى أنه يقاتل الأول لأنه رجل خرج على الإمام العادل بعد تمام بيعته وادعى أن الإمامة حق له وقد ثبت بالإجماع على غيره أنها ليست له، والثاني رجل خرج على الإمام ولم يمتثل له في شيء من الأحكام.

ونجد أن هناك خصوصية في طبيعة تعامله عليه السلام مع أهل القبلة والخارجين عن إجماع المسلمين قبل القتال وأثنائه وبعد انتهاء المعركة، ونراه بذلك قد سنَّ سُنّة تختلف عن قتال المشركين أو أهل الكتاب من اليهود أو النصارى وغيرهم، ويبين ذلك في خطبة له عليه السلام يشير فيها إلى تقنين قتال المخالف والدعوة إلى اتباع المنهج القرآني، والترقي لضمان الفوز بإحدى الحسنيين، بقوله: «ولعمري ما عَلِيَّ من قتال مَنْ خالف الحق وخابط الغيَّ من إدهان ولا إِيهَان، فَاتَّقُوا اللهَ عباد الله، وفروا إِلى الله من الله، وامضوا في الذي نَهَجَهُ لكم وقوموا بما عصبه بكم، فَعَلِيٌّ ضامن لِفَلْجِكُمْ آجِلًا إِن لم تُمنَحُوهُ عَاجِلًا»(١).

إن نظرة ثاقبة واحدة إلى خطب نهج البلاغة التي تجسد النهج السياسي عند أمير المؤمنين عليه السلام تجاه تعامله مع المنشقين عن خلافته تؤكد أنه لم يقم بقتالهم إلا بعد قيامه بعدة أمور تُلقي الحجة عليهم وتحملهم على الرجوع إلى الجماعة التي دخل فيها عامة المسلمين وترك الفتنة، وكلها أمور نبعت من نهجه القرآني، ومنها: الحجة في الخروج على الخليفة، وإرساله الرسائل والمبعوثين، وعدم الأخذ بالظنة قبل ثبوت الحجة، والإعذار قبل القتال.

١- في إثبات الحُجَّة على الخارجين

حرص الإمام علي عليه السلام في دعوته للم شمل المسلمين دون إراقة دماء أن يتخذ مسلكًا يتماشى وفكر الإسلام وما أمر به الله ورسوله، ولذلك جاءت سياسته مع

(١) بحار الأنوار الجامعة، ج٢٩، ص٤٦٤؛ شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٣١.

الخارجين على الخلافة متدرجة حسبما قررها الشرع الإسلامي، وكان هذا منهجه في التعامل مع المنشقين، وتمثل هذا التدرج أولاً في إثبات الحجة على كل من طلحة والزبير، فقد دعاهما أمير المؤمنين عليه السلام إلى الرجوع إلى الطاعة ولزوم الجماعة بالعودة ثانية إلى بيعتهما[١]، وأنه لا حجة لهما في الخروج عليه تحت ذريعة الإكراه على البيعة أو الطلب بدم عثمان وهذا من دلائل نهجه السياسي معهما القائم على العدل والمساواة والتسامح، وقد ورد في نهج البلاغة -وكذلك الكثير من المصادر التاريخية- العديد من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه الذي يثبت أنه لم يُكره أحدًا على البيعة - كما أشرنا-، حيث أنه احتج على الزبير بلزوم بيعته بقوله: «فقد أقّر بالبيعة وادعى الوليجة، أي أقر بما هو مقبول ومحكوم بلزومه شرعًا وادعى أنه ادخر في باطنه ما يفسد من الوليجة»[٢].

وكانت حجة معارضة معاوية بن أبي سفيان لأمير المؤمنين علي عليه السلام ورفضه البيعة هي المطالبة بدم عثمان بن عفان ابن عمه، وأن الإمام عليه السلام متستر على هذه القضية أو متغافلاً عنها، وهي من الحجج الواهية التي استند إليها معاوية من أجل الاحتفاظ بمنصبه كوالي على الشام، أو سعيه للوصول إلى الخلافة، وفي الوقت نفسه أثبتت الأحداث تخاذل معاوية ومماطلته في نصرة عثمان مما يدل على بطلان حجته في الاستجابة لمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وبذلك فقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام أن حجة معاوية في الطلب بدم الخليفة عثمان إنما هي خدعة[٣].

وقد ردّ أمير المؤمنين عليه السلام على رفض معاوية البيعة بالكثير من الكتب والرسائل

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧١، ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج١، ص٤٢؛ ، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١، ص٢٣٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٥؛ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، ج٣، ص٢٥٢.

التي تؤكد أن بيعته بيعة عامة بايعه فيها الخاصة من المهاجرين والأنصار وعامة المسلمين، ولذلك فمبايعته له ملزمة عليه، ومن ذلك ما ورد في أحد كتبه حيث يقول: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أَبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه... وَلَعَمْرِي يَا معاوية ، لئن نظرت بعقلك دون هواك، لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ الناس من دم عثمان وَلَتَعْلَمَنَّ أني كنت في عزلة عنه، إِلا أَن تَتَجَنَّى، فَتَجَنَّ ما بدا لك، وَالسَّلاَمُ»[١]؛ لذلك قام الإمام عليه السلام بطلب البيعة له في الشام من معاوية والقدوم إليه في وفد من أهلها، بعد أن برهن له ببطلان حجته في رفض البيعة، وقد جاء ذلك في كتابه إليه الذي ورد فيه» فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ، وَأَقْبِل إِلَيَّ في وفد من أصحابك، والسلام»[٢].

وكانت حجة الخوارج في معارضة سلطة أمير المؤمنين عليه السلام ، هي بطلان التحكيم الذي جرى بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، بعد خداع الأخير لأبي موسى الأشعري مما أدى إلى تجدد الفتنة بين المسلمين[٣]، كما أنهم أنكروا تحكيم الرجال في حكم الله عز وجل المتمثل بحكم القرآن الكريم ورفعوا شعار «لا حكم إلا لله»[٤].

وحاول الإمام عليّ عليه السلام إقناعهم بمختلف الوسائل التي تقوم على الحوار الحر المتسامح وكان من رده على دعوتهم ببطلان تحكيم الرجال في الخلاف الذي دار بينهم قوله عليه السلام : «إِنَّا لم نُحَكِّم الرجال، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا القرآن ...»[٥]؛ وكان هدف

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٣، ص٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص٣٥.
(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٣، ص١٣٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٦٨.
(٣) الإمامة والسياسة، ج١، ص١١٥.
(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨١.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج٨، ص١٠٣.

الإمام عليه السلام من هذا الكلام أن يوضح لهؤلاء الخوارج فهمهم الخاطئ لقضية التحكيم، وذلك لأنه عليه السلام لم يرض بتحكيم الرجلين ولكن بتقدير حكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه.

٢- إرسال الرسائل والمبعوثين

سعى الإمام عليه السلام بكل الطرق من أجل تجنب القتال وسفك دماء المسلمين، ولذلك تنوع نهجه السياسي تنوعًا كبيرًا في تعامله مع معارضيه السياسيين والخارجين عن السلطة، ولذلك أرسل المبعوثين يحملون الرسائل من أجل الإصلاح؛ وكانت كتبه عليه السلام لهم فيها من الدلائل والبراهين الموثقة التي سعى من خلالها في إلقاء الحجة عليهم، وترغيبهم في الرجوع إلى الجماعة؛ فعلى سبيل المثال حاول الإمام عليه السلام في كتابه إلى الزبير بن العوام أن يستميله باللين لكي يرجعه إلى الحق، فذكره بصلة القربى بينهما، وكذلك بالبيعة التي بايعه إياها في المدينة، وحملت رسالته إليه في ذلك: «... ولكن القَ الزُّبَيْرَ فإنه أَلْيَنُ عَرِيكَةً فقل لَه: يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا»(١).

ونستشف من كتاب للإمام عليه السلام أرسله لطلحة والزبير أنه لم يجبرهم ولم يجبر عامة المسلمين على البيعة له، وأنهما قد بايعاه فإذا كانت بيعتهما له طواعية فالأجدر بهما الرجوع إلى الطاعة والابتعاد عن الفتنة وأنه لا يملك سلطاناً يمكِّنه أن يجبرهم على البيعة له، وإن كانا قد بايعا مكرهين فأنهما قد أساءا بإظهارهم الطاعة وإسرارهم المعصية؛ ويؤكد هذا المفهوم كتابه الذي جاء فيه: «أني لم أُرِدِ الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإنكما ممن أرادني وبايعني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لِعَرَض حاضر، فإن كنتما بَايَعْتُمانِي طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من

(١) بحار الأنوار الجامعة، ج٣٢، ص٧٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٦٢.

قريب، وإن كنتما بَايَعْتُمانِي كَارِهَيْنِ، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية»[١].

ومن دلائل النهج السياسي لأمير المؤمنين علي عليه السلام مع معارضيه إرسال الكتب والرسائل بيد المبعوثين إلى معاوية من أجل حمله على الرجوع إلى الطاعة والدخول فيما دخل به عامة المسلمين من الجماعة وقد آثر في رسائله إليه التأني والتمهل والتروي، كل ذلك من أجل أن يمنع حدوث الحرب، وقد أشار على معاوية بتقوى الله فيما لديه من مال المسلمين وفيئهم، وكان عليه السلام يهدف من وراء كل رسائله الحفاظ على أرواح المسلمين التي يمكن أن تزهق إذا حدثت الحرب بين الطرفين[٢].

أما كتبه ورسائله عليه السلام إلى الخوارج فعلى الرغم من بلاغة منطقها وقوة حجتها[٣]، إلا أنها لم تلق أدنى اهتمام لديهم بما يمنعهم من إثارة الفتنة بين المسلمين، فعثوا في الأرض فسادًا. ولذلك رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن التسامح معهم والتغاضي عن أفعالهم سوف يؤدي إلى الإخلال بالنظام العام للمسلمين، ففضل عليه السلام الاستجابة لدعوة شيعته الذين خاطبوه وهو يتجهز للمسير لأهل الشام بقولهم: «يا أمير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفون في عيالنا وأموالنا، فسر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم نهضنا إلى عدونا من أهل الشام»[٤].

٣- إعذاره عليه السلام للخارجين عن حكومته قبل قتالهم

بذل الإمام علي عليه السلام جهودًا مضنية من أجل تجنب القتال، وكان سياسيًا عادلًا

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٣، ص١١١.
(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، ج٦، ص٣١؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج١٦، ص٦.
(٣) بحار الأنوار الجامعة، ج٣٣، ص٣٢٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٠٤.
(٤) الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٨.

متسامحًا مع معارضيه السياسيين، ولكنه اضطر في النهاية لقتالهم لأنه لو كان تركهم على ما كانوا عليه لأدى ذلك إلى الفتنة وإضعاف وحدة المسلمين، وقد ثبت هذا الاستنتاج بالفعل من خلال قوله عليه السلام: «فَقَدِمُوا عَلَى عمالي وَخُزَّانِ بيت مال المسلمين الذي في يَدَيَّ، وعلى أهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فَشَتَّتُوا كلمتهم، وأفسدوا عليّ جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غـدرًا، وطائفة عَضُّوا على أسيافهم، فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقِين»[١].

وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام من خلال خطبه التي تزخر بها المصادر التاريخية وكذلك كتبه التي أرسلها لكل من طلحة والزبير على أنهما قد قاطعاه وظلماه بنكثهما بيعته[٢]، وجمعهما الناس وإعلان الحرب عليه، كما أشارت جميعها بأنه قد حاول أن يثنيهما عن القتال من خلال التحاور معهما وإثبات الحجة عليهما، حتى أنه عليه السلام بالغ في الأعذار لهما قبل المعركة إلا أنهما رفضا ذلك وأصرا على الحرب[٣]. وتُعد محاوراته هذه واحدة من الوسائل التي سعى من خلالها إلى تجنب القتال وسفك الدماء، ويدلنا هذا على نهجه السياسي معهم ورغبته الشديدة في عودتهم إلى ما دخل به عامة المسلمين من الطاعة والجماعة ووحدة الصف .

وكانت الرغبة الأكيدة لدى أمير المؤمنين عليه السلام في منع نشوب القتال ضد معاوية ومن معه من أهل الشام، إنما هي دليل على نهجه السياسي القرآني القائم على العدل والمساواة، وقد انعكس هذا النهج على تصرفاته عليه السلام عندما دعا معاوية لمبارزته من أجل تجنب الحرب ومنع القتال[٤].

---

(١) بحار الأنوار الجامعة، ج٣٢، ص٨٣؛ نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٢، ص٢٠٣.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٣٨؛ نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٢، ص٢١.
(٣) جواهر التاريخ، ص٢٣٠؛ الإمامة والسياسة، ج١، ص٩١.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٧٩.

وظل أمير المؤمنين عليه السلام يتمهل ويتروى في البدء بالقتال حتى استبطأه أصحابه، وكان هذا التريث من جانبه عليه السلام ألطف وأسهل من القتل والقتال، وكان انتظاره ومدافعته للحرب يومًا بعد يوم إنما هو انتظار وطمع أن يلحق به منهم من تجذب العناية الإلهية بذهنه إلى الحق فيهتدي، وكان ذلك أحب إليه من قتلهم على ضلالتهم، وإن كان كل ضالٍ إنما يرجع بإثمه إلى ربه ويكون رهين عمله(١).

ويضرب لنا الإمام عليه السلام المثل الذي ينبغي أن يُحتذى به في النهج السياسي المفعم بالقيم الإسلامية النبيلة التي نبعت بدورها من تعاليم القرآن في وصيته لجيشه وعساكره قبل لقاء معركة صفين حين أكد عليه السلام على جملة من قواعد القتال ضد البغاة من أهل القبلة منها، وهي عدم البدء بالقتال ليكون حجة على الآخر، وإذا تحقق النصر لهم نجده عليه السلام على خلاف جميع القادة الذين يأمرون بالقتل والسلب والنهب إذا ما انتصروا حيث يأمر جنوده أن لا يقتلوا المدبر ولا المعور الذي لا يدري يحارب أم لا، ولا يجهزوا على جريح، ولا يتعرضوا لنساء العدو بأي نوع من أنواع الأذى(٢). وهنا نلحظ نهجًا سياسيًا يتجسد بأفضل صوره عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ هو مع أعدائه وقبيل احتدام القتال يوصي جيشه أن تكون أخلاقهم بهذا الوصف.

٤ – تسامحه عليه السلام بعد قتال المنشقين

تأكيدًا على النهج القرآني لسياسة الإمام عليّ عليه السلام تعددت صور التسامح والعفو التي تبدو واضحة من خلال أسلوب تعامله مع كل معارضيه السياسيين، فنجده بعد انتهاء معركة الجمل أمر مناديًا أن ينادي بين الناس: «ألاَّ يجهز على جريح ولا يتبع

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج١، ص١٠٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٢.

(٢) عن أخلاقه عليه السلام في الحرب، راجع: محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، ج٤، ص٣٠٦.

مولّ ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم أمن الأسود والأحمر»[1]، كما عفا عليه السلام عن الأسرى ولم يأمر بقتلهم.

وصفوة القول بعد هذا العرض الموجز لبعض خطب وكلمات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومواقفه السياسية المتعددة مع كل معارضيه ومناهضيه وأعدائه، يظهر بجلاء نهجه القرآني السياسي الواضح وتطبيق أدبياته من تسامح وعدل وعفو وإثبات الحجة وفق إمكاناته وإدراكه لأحكام الإسلام التي توافقت مع طبيعة الأحداث السياسية في عصره والتي لو قُدِّر لها أن تُتبع من جانب القادة والسياسيين في عصرنا الحاضر لاختلف الكثير من الأمور ولأصبحت المجتمعات الإسلامية، بل كل المجتمعات في مكان آخر من التقدم والتحضر والرقي.

الخاتمـــة

إن خلاصة ما توصلت إليه هذه الدراسة من استنتاجات فيما يتعلق بالنَّهْج القُرْآني للإمَام عليّ بن أبي طَالب عليه السلام في التَّسَامُح والإصْلَاح السِّيَاسيِّ:

١. إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يجبر أحدًا على بيعته بالإكراه أو القوة وأكدت المصادر التاريخية هذا المفهوم.

٢. أنه عليه السلام لم يقبل البيعة إلا ممن أتاه طائعاً غير مكره، ومن أبى بيعته تركه وحفظ له كامل حقوقه التي شرعها الإسلام له دون أن يعمل على الانتقاص منه.

٣. لم يأخذ علي بن أبي طالب عليه السلام أحدًا بالظنة أو التهمة من الذين لم يبايعوه بل تركهم وتقدير أعمالهم.

٤. من دلائل النهج القرآني في سياسية علي بن أبي طالب عليه السلام إرساله الرسائل والكتب والمبعوثين من الصحابة إلى معارضيه لإلقاء الحجة عليهم وتوضيح

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٢.

الحقيقة لهم، وحملهم على الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، وتجنب الفتنة التي تؤدي إلى سفك دماء المسلمين.

٥. أثبتت الدراسة أن الإمام علي عليه السلام يُعد أنموذجًا فريدًا في تاريخ الإنسانية ممن تمكن من مواجهة الفتن الداخلية، وبناء الدولة العادلة في آن واحد.

توصية: يرى الباحث ضرورة قيام المؤسسات بواجبها في مواجهة الفكر السياسي الأجنبي والعودة للموروث السياسي الديني المستمد من القرآن الكريم وعلى النهج القرآني الذي انتهجه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بما يحويه من قيم أصيلة تتناسب وشريعتنا الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد(عز الدين أبو حامد بن أبي الحديد المدائني، ت. ٦٥٥هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد إبراهيم، ج١، ج٢، ج٤، ج٦، ج٨، ج٩، ج١٣، ج١٤، ج١٥، ج١٨، ج٢٠، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

٣. ابن الأُثير(أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، ت. ٦٤٠هـ)، الكامل في التاريخ، مج٣، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

٤. ابن سعد(محمد بن سعد بن منيع الزهري، ت. ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبير، ج٢، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٥. ابن طاووس(رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد الطاووس الحسني الحلي، ت. ٦٦٤هـ)، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق السيد علي عاشور،

ج١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٩م.

٦. ابن عبد البر(أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت. ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، تحقيق: علي محمد البجاوي، مؤسسة آية الله العظمى لإحياء الفكر الشيعي، ط١، ١٤١٢هـ.

٧. البحراني(كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ت. ٦٧٩هـ)، شرح نهج البلاغة، ج٢، دار الحبيب للطباعة والنشر، قم-إيران، ط٢، ١٤٣٠هـ.

٨. البلاذري(أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ج١، دار المعارف بمصر، د.ت.

٩. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، تحقيق: فيلفرد ماديلونج، مطبعة مؤسسة البيان، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

١٠. الثقفي(أبي إسحاق بن محمد الثقفي الكوفي، ت. ٢٨٣هـ)، الغارات، مج١، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، طبعة طهران د.ت.

١١. الحر العاملي(الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، ت. ١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،ج٢١، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٢. الدينوري(أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت. ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر، د.ت.

١٣. الدينوري، الإمامة والسياسة، تعليق: إبراهيم شمس الدين، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ٢٠٠٦م.

١٤. الدينوري، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، ج١، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د.ت.

١٥. الدينوري، الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، ج١، منشورات الشريف الرضي، مطبعة أمير-قم المقدسة، ١٤١٣هـ.

١٦. السيد محسن الأمين العاملي، عجائب أحكام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: فارس حسون كريم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، د.ت.

١٧. الشريف الرضي (أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد، ت٤٠٤ه)، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٤، مكتبة الأندلس، بيروت – لبنان، د.ت.

١٨. الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج١، ج٢، ج٣، ج٩، ج١٦، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د.ت.

١٩. الشريف المرتضى(علي بن الحسين الموسوي، ت. ٤٣٦هـ)، الشافي في الإمامة، ج٣، تحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

٢٠. الشيخ الطبرسي(أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي)، الاحتجاج، ج١، مطابع النعمان بالنجف الأشرف، ١٩٦٦ه.

٢١. الشيخ المفيد(محمد بن محمد بن النعمان الكعبري، ت. ٤١٣هـ)، الإرشاد، المكتبة الحيدرية بالنجف الأشرف، ١٩٦٣م.

٢٢. الشيخ المفيد، الإرشاد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٣. الكليني(محمد بن يعقوب الكليني، ت. ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، ج١، ضبطه وصححه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان ١٩٩٠م.

٢٤. الكليني، الفروع من الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ج٧،

طبعة طهران-إيران، ١٣٧٩هـ.

٢٥. المجلسي(الشيخ محمد باقر المجلسي، ت. ١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج١٠،ج٢٩، ج٣٢، ج٣٣، ج٤٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ت.

٢٦. المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت. ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٧. اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح)، تاريخ اليعقوبي، مج٢، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

٢٨. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٤م.

٢٩. أويس كريم محمد، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٣٠. آية الله العظمى المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية، ج١، مطابع مكتب الإعلام الإسلامي ط١، ١٤٠٨هـ.

٣١. رسول جعفريان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، مج١، دار الحق بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

٣٢. علي الكوراني العاملي، جواهر التاريخ، دار الهدى، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٣. محمد بيومي مهران، الإمامة وأهل البيت، دار الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٤. محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق مركز بحوث دار الحديث، ج٢، ج٣، ج٤، ج٦، ج١٠، دار

الحديث للطباعة والنشر، د.ت.

٣٥. محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، راجع أصوله ونصوصه محمد إلياس الباره، ج١٠، مكتبة العلم للطباعة والنشر، دلهي – الهند، ٢٠١٣م.

أسبابُ اختلافِ الحديثِ في روايةِ الإمام عليّ عليه السلام

د. حميد البغدادي

الملخّص:

احتلّ موضوع (علوم الحديث) مكانة رفيعة؛ لأهميّة الحديث والسنّة في الفكر والثقافة الإسلاميّة. فاهتمّ علماء الدين منذ الأيّام الأولى بهذه المهمّة، وتناولوا دراسة الحديث ومشكلاته من زوايا متعدّدة. وأدّى ذلك على مرّ الزمن إلى تطوّر علم الحديث وغناه واتّساعه بحيث تفرّعت عنه علوم متعدّدة مثل: دراية الحديث، رجال الحديث، مختلف الحديث، علل الحديث، غريب الحديث، فقه الحديث، وما إلى ذلك. وقد حظي علم (دراية الحديث) باهتمام أوسع؛ لتأثيره الأساس في تشخيص سليم الحديث من سقيمه. وممّا يضاعف الاهتمام بعلوم الحديث هو علمنا بتلاعب الكذّابين والوضّاعين بالأحاديث ونسبة أحاديث إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام، مضافًا إلى عوامل أخرى أدّت إلى التلاعب بالأحاديث.

ومن الروايات التي سلّطت الضوء على أسباب اختلاف الحديث ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلّها من أقدم الروايات التي تعرّضت لذلك، التي بيّنت أنّ رواة الحديث أربعة:

الأوّل: نوع منافق كذّاب يضع الحديث تقرّبًا للحكّام.

الثاني: نوع يسمع ولا يفهم، فيروي فما فهمه خطأ لا عن تعمّد، ودرجة خطورة هذا النوع في المرتبة الثانية.

الثالث: نوع ليس منافقًا ولا بليدًا، فهو يسمع ويفهم، ولكنّه قليل العلم؛ لأنّه علم المنسوخ السابق ولم يعلم ناسخه أو خفي عليه ، ولو علم أنَّ ما عنده منسوخ لرفضه.

الرابع: وهم القلّة، يسمعون ويحفظون ويفهمون ويعلمون، يبغضون الكذب والنفاق، حفظوا ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وآله على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ.

فما بين أيدي الناس خليطٌ فيه الحقّ، وفيه الباطل، وإن كان الناس يرونه كلّه حقًّا.

الكلمات المفتاحيّة: الإمام عليّ عليه السلام، اختلاف الحديث، الرواية.

Abstract

The subject of Hadith Sciences (Ulum al-Hadith) holds a prestigious position due to the paramount importance of Hadith and Sunnah in Islamic thought and culture. Since the early days of Islam, scholars have dedicated themselves to this task, examining Hadith and its complexities from multiple perspectives. Over time, this led to the enrichment and expansion of Hadith sciences, branching into various disciplines such as: Dirayat al-Hadith (Hadith comprehension), Rijal al-Hadith (biographical evaluation), Mukhtalif al-Hadith (reconciling conflicting reports), 'Ilal al-Hadith (Hadith defects), Gharib al-Hadith (obscure vocabulary), and Fiqh al-Hadith (jurisprudence of Hadith). Among these, Dirayat al-Hadith has garnered the most attention for its fundamental role in distinguishing authentic narrations from weak or fabricated ones. This scholarly rigor is necessitated by the historical interference of fabricators and liars who attributed false reports to the Holy Prophet (pbuh) and the Infallible Imams (pbut).

The narrations that shed light on the causes of Hadith discrepancies find their earliest roots in the words of Amir al-Mu'minin (pbuH). He identified four types of narrators:

The Hypocritical Fabricator: One who intentionally fabricates Hadith to gain favor with rulers.

The Inaccurate Hearer: One who hears a narration but misinterprets it; they relay their misunderstanding unintentionally, marking the second degree of risk.

The Uninformed Believer: One who is neither a hypocrite nor slow-witted, yet possesses limited knowledge. They memorize an abrogated (Mansukh) ruling but are unaware of its abrogating (Nasikh) counterpart. Had they known it was abrogated, they would have rejected it.

The Reliable Minority: Those who hear, memorize, and comprehend with precision. They detest falsehood and hypocrisy, preserving what they heard from the Prophet (pbuh) exactly as it was, without addition or omission. They distinguish the Nasikh from the Mansukh, acting upon the former and setting aside the latter.

Thus, what remains in the hands of the people is a mixture of truth and falsehood, even if many perceive it all to be truth.

Keywords: Imam Ali (pbuH), Hadith Discrepancies (Ikhtilaf al-Hadith), Narration.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين حمدًا كثيرًا كما هو أهله، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الأطيبين الأطهرين، وعلى أخيه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وارث علمه وسيّد الأوصياء وإمام المتقين، وفاروق الأمة، ومنارة الهدى، وإمام الأولياء.

احتلّ موضوع (علوم الحديث) مكانة رفيعة؛ لأهميّة الحديث والسنّة في الفكر والثقافة الإسلاميّة. فاهتمّ علماء الدين منذ الأيّام الأولى بهذه المهمّة، وتناولوا دراسة الحديث ومشكلاته من زوايا متعدّدة. وأدّى ذلك على مرّ الزمن إلى تطوّر علم الحديث وغناه واتّساعه، بحيث تفرّعت عنه علوم متعدّدة مثل: دراية الحديث، رجال الحديث، مختلف الحديث، علل الحديث، غريب الحديث، فقه الحديث، وما إلى ذلك، فعلم الدراية يبحث عن المسائل الكلية التي لها دخل في قبول الحديث والخبر أو ردّه، فقد يرتبط بالسند ـ على نحو المجموع بما له أثر في الأخذ بالرواية، فيصف السند بأنّه معتبر وغير معتبر، وصحيح أو موثّق أو ضعيف أو حسن بشكل عام وكلّي، فيقول مثلًا: كلّ سند كان جميع رواته عدولًا إمامية، فهو صحيح، ولا يبحث الجزئيات أصلًا. وغايته التمييز بين الحديث المقبول والحديث المردود؛ لغرض استنباط الأحكام والعمل بها.

وعلم الرجال يبحث فيه عن أحوال آحاد رواة الحديث التي لها مدخليّة في تشخيص ذواتهم أو في حال رواياتهم، فهو علم وضع لتشخيص رواة الحديث ذاتًا ووصفًا، مدحًا وقدحًا.

وموضوع علم الرجال وهو الرواة جزئي، يبحث فيه عن أوصاف وتشخيص رواة السند وأفراده فردًا فردًا، ولا صلة له بالمتن أو بمجموع السند، وغايته معرفة

الراوي الضعيف والمجروح من الثقة وما شابه ذلك؛ ليتوصّل بها إلى قبول الرواية أو ردّها في مقام استنباط الأحكام من السُّنّة الشريفة.

وقد حظي علم (دراية الحديث) باهتمام أوسع لتأثيره الأساس في تعيين مكانة الحديث وتشخيص سليمه من سقيمه، والسبب الذي يدعو إلى مضاعفة الاهتمام بعلوم الحديث وخاصّة علمي الدراية والرجال هو علمنا - استنادًا إلى أدلّة نقلية مسلّم بها وشواهد تاريخية قطعية - بتلاعب الكذّابين والوضّاعين بالأحاديث ونسبة الكثير من الأحاديث إلى المعصومين وخاصّة إلى الرسول الكريم (صلوات اللّه عليهم)، مضافاً الى عوامل أخرى أدّت إلى التلاعب بالأحاديث.

فألّف علماء الشيعة كتبًا ورسائل كثيرة في هذا المجال؛ لتثبيت الأسس المعتمدة والرصينة لاستنباط الأحكام الشرعية، ولتكون منبعًا رصينًا للفكر والعقيدة الاسلامية.

وسيكون البحث في هذه الدراسة المتواضعة في عدّة مباحث:

المبحث الأوّل: أسباب اختلاف الحديث على وفق رؤية تحليلية تفحّصية.

المبحث الثاني: أسباب اختلاف الحديث على وفق رواية الإمامِ عليّ عليه السلام ، وفيه مطالب ثلاث:

المطلب الأوّل: البحث السندي.

المطلب الثاني: نصّ رواية الإمام عليّ عليه السلام .

المطلب الثالث: البحث الدلالي في أسباب اختلاف الحديث على وفق رواية الإمام عليّ عليه السلام .

المبحث الأوّل: أسباب اختلاف الحديث على وفق رؤية تحليلية تفحّصية

هنالك أسباب لاختلاف الحديث يمكن التوصّل لها واكتشافها عن طريقة المراجعة الدقيقة والتأمّل في النص التأريخي والتحقيق فيه، وهذا مجال كبير للباحثين لاكتشاف هذه الأسباب، وهناك طريق آخر لمعرفة الأسباب الكامنة وراء اختلاف الحديث، وهو بالرجوع إلى الأحاديث الشريفة والنصوص الروائية التي وردت في كتبنا الحديثية الأوّلية والمهمة، المتضمّنة أصول الأحاديث من الكتب المعتبرة.

وينبغي للباحث الاهتمام بكلا الطريقين، لمزيد من الاهتمام والرؤية الواسعة والثاقبة في الوصول إلى الإشكاليّة الحقيقية؛ لأجل علاجها.

وسنذكر الأسباب التي نتوصّل إليها بالتحليل والدراسة، إمّا بشكل مباشر، وإمّا بالاستفادة ممّا تعرض له العلماء، وهو مَعين ثَرٌّ ومهم، لكن على الدارس والباحث انْ لا يكتفي بما قدّموه على أهميته، بل عليه السعي الجاد عسى أنْ يصل إلى أمرٍ غفلوا عنه، أو توضيح أمرٍ أجملوه، ونشير إلى بعض هذه الأسباب ـ وهي مبثوثة في دراسات علماء الطائفة:

١ـ الاستنساخ ونحوه من الكتابة، ومن الطبيعي أنْ يكون معرضًا للاشتباه والخطأ، فهو أمر بشري.

٢ـ ذهاب بعض القرائن المحيطة بالحديث، ممّا يؤدّي إلى فقدان بعض القرائن المتّصلة، الأمر الذي يجعل المعنى المفهوم منه غير المعنى الحقيقي.

٣ـ النقل بالمعنى، حيث يختلف الأفراد في دقّة النقل بالمعنى، فيكون سببًا للاختلاف.

٤ـ الوضع والجعل. فالرواة مختلفون في مستوى التدين والتقوى، وهو ما يُسمّى بالوثاقة من حيث الجرح والتعديل.

٥ـ اختلاف حالات الناس بلحاظ الجهل والنسيان ودرجات ذلك. فالرواة في العصور الأولى (الصحابة والتابعين) كان يغلب عليهم الجهل والأُمية بشكل واضح، فلا يُراعون الدقَّة في النقل، لا عن عمد وقصد، بل بالتسامح والتغافل، فيؤدّي إلى وقوع الاختلاف في النقل.

٦ـ فقدان جزء من الحديث.

٧ـ تقطيع الروايات.

٨ـ التشريع التدريجي.

٩ـ الأحكام الولائية للنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، فيتوهم أنّه حكم شرعي عام، وهو حكم ولائي في واقعة خاصة، والمقصود بالحكم الولائي بشكل مبسّط: هو الحكم الذي يكون صادرًا من الحاكم ـ وهنا المقصود المعصوم ـ من جهة كونه وليًّا وحاكمًا، لا باعتباره مشرّعًا بلحاظ تشخيصه مصلحة أو مفسدة اجتماعية، أي: لتدبير حياة الأمة والناس، ولزوم الحكم الولائي ووجوب اتّباعه تابع للزوم شرائطه وظروفه، فقد تكون في زمانٍ لازمة الامتثال، وفي زمانٍ آخر ليس كذلك؛ لعدم تحقّق شرائطه وظروفه، ويذكر عادة مثال على ذلك وجوب زكاة الخيل مثلًا من قبل الإمام علي عليه السلام عند تصدية للحكومة وإدارة شؤون الأمّة، وتفصيل ذلك بالرجوع إلى الكتب الاستدلالية الفقهية.

١٠ـ التقيّة.

١١ـ الأحاديث المدرجة أو درج الأحاديث.

١٢ـ بُعد المسافة بين صدور الحديث وبين تدوينه، فقد تجاوزت القرن من الزمان بين الصدور والتدوين، وهذا السبب مرتبط بمدونات وأحاديث العامة دون الخاصة؛

حيث منع تدوين الحديث، أي المنع والنهي عن كتابة أحاديث وسنة النبي صلى الله عليه وآله[١].

١٣ـ تأثر بعض الصحابة ـ وهم ليسوا بقليل ـ بالأوضاع السياسية والاقتصادية، فسكتوا عن رواية الأخبار الحقّة، كما هو الحال في زمن الخلفاء الثلاثة، حيث منعوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٤ـ محاولة أعداء الإسلام وهو الخط القريشي المتمرّد ويمثله حينها الإسلام الأموي في تكوين رصيد روائي خاص بهم، فألّفوا روايات مكذوبة وبثّوها بين أوساط الأمّة، على لسان الصحابة أو على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد نجحوا ـ لسيطرتهم على مقاليد الحكم، وبذل المال وغيره للمتملقين ـ إلى حدٍّ كبير في صناعة العقل العام للأُمّة على مدى قرون طويلة، حتّى أنّ حكومة بني العباس لم يستطيعوا التغيير في ذلك؛ كونه الجو العام حينها، أو لم يريدوا ذلك؛ لأنّه الأنفع والأصلح لحكمهم، فصار الناس والأمّة أمام رصيد متناقض إلى حدٍّ كبير، فخبر يلعن معاوية، وآخر يمدحه، وخبر يصف طلحة والزبير بأنّهم من العشرة المبشّرة بالجنة، وخبر يجعلهم في مصاف الناكثين المنافقين، ونذكر بعض هذه الروايات المختلقة والمكذوبة كشاهد ليطّلع القارئ على ذلك:

قال ابن أبي الحديد: ((ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي إنّ معاوية وضع قومًا من الصحابة، وقومًا من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلًا يُرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم؛ أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير))[٢].

وكتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: ((أن برئت الذمّة ممّن

---

(١) ينظر: فتح الباري: ١/ ٦. والمدخل إلى السنن الكبرى: ١/ ٤٠٧. و كنز العمال: ١٠/ ٢٩٢. ولمزيد من الاطلاع، راجع: منع تدوين الحديث.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/ ٦٣.

روى شيئًا من فضائل أبي تراب وأهل بيته))[١]، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليًّا، ويبرؤون منه ... وكتب إلى عمّاله أن لا تقبلوا لأحدٍ من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم :((أن انظروا مَنْ قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم، وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته - ثمّ كتب إلى عمّاله-: إنّ الحديث في عثمان قد كثُر، وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبرًا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقضٍ له في الصحابة؛ فإنّ هذا أحبّ إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته))[٢].

وقد بذل معاوية للصحابي سمرة بن جندب أربعمئة ألف درهم على أن يروي أنّ هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤- ٢٠٥] قد نزلت في عليّ بن أبي طالب، وأنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فروى ذلك [٣].

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ((إنّ الله ائتمن على وحيه ثلاثًا؛ أنا، وجبرئيل، ومعاوية)). وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ناول معاوية سهمًا، فقال له:((خذ هذا حتّى تلقاني في الجنّة)، و ((أنا مدينة العلم، وعلي بابها، ومعاوية حلقتها))[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١/ ٤٤.

(٢) م. ن: ١١/ ٤٥.

(٣) ينظر: م. ن: ٤/ ٧٣.

(٤) وهذا الاتجاه اعتُبر سياسة ثابتة في مهمات الدولة الأمويّة الثقافية، وللمزيد راجع: ثورة الحسين ظروفها الاجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة: ٨٧ وما بعدها. وراجع ايضًا: بحار الأنوار: ٣٣/ ٢١٥ وما بعدها.

المبحث الثاني: أسباب اختلاف الحديث على وفق رواية الإمام عليّ عليه السلام

في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ، رُوِيَ بطريقين:

الطريق الأوّل: روى ثقة الإسلام الكليني في باب اختلاف الحديث عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي [١].

الطريق الثاني: نهج البلاغة[٢].

المطلب الأوّل: البحث السندي

وسيكون البحث في سلسلة رواة الطريق الأول؛ لأنّ الطريق الثاني لا سند له، بل هو موجود في النهج:

عليّ بن إبراهيم بن هاشم: ثقة [٣].

عن أبيه: إبراهيم بن هاشم الكوفي: ثقة [٤].

---

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٦٢. وراجع ايضًا: الغيبة للنعماني: ١/ ٧٨، والخصال: ١/ ٢٥٥.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٣٢٥.

(٣) قال الشيخ النجاشي: ((علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمّي، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنف كتبًا)). رجال النجاشي: ٢٦٠، وقع في إسناد كثير من الروايات تبلغ سبعة آلاف ومائة وأربعين موردًا. راجع: معجم رجال الحديث: ١٢/ ٢١٣.

(٤) قال الشيخ النجاشي: ((إبراهيم بن هاشم أبو إسحاق القمّي، أصله كوفي انتقل إلى قم، قال أبو عمرو الكشي: تلميذ يونس بن عبد الرحمن، من أصحاب الرضا عليه السلام ، وهذا قول الكشي، وفيه نظر، وأصحابنا يقولون: أول من نشر حديث الكوفيين بقم هو)). رجال النجاشي: ١٦، وينظر: الفهرست: ٣٥. ويمكن توثيقه لقرائن، منها: ١- من المشايخ المباشرين لابنه عليّ في تفسير القمّي. ٢- ادّعى السيد ابن طاووس الاتفاق على وثاقته في فلاح السائل: ١٥٨. ٣- أوّل من نشر حديث الكوفيين بقم. و القمّيون معروفون بالتشدّد في الرواية، وغير ذلك من القرائن. وقع إبراهيم بن هاشم في إسناد كثير من الروايات تبلغ ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر موردًا. راجع: معجم رجال الحديث: ١/ ٢٩١.

عن حمّاد بن عيسى: ثقة [١].

عن إبراهيم بن عمر اليماني: ثقة على الأصح [٢].

عن أبان بن أبي عيّاش: ضعيف [٣].

عن سليم بن قيس الهلالي: ثقة [٤].

---

(١) قال الشيخ النجاشي: ((حمّاد بن عيسى أبو محمّد الجهني: مولى، وقيل عربي أصله الكوفة سكن البصرة... وكان ثقة في حديثه صدوقًا، قال: سمعت من أبي عبد الله عليه السلام سبعين حديثًا، فلم أزل أدخل الشكّ على نفسي، حتى اقتصرت على هذه العشرين... وهو غريق الجحفة في سنة تسع ومائتين، وقيل سنة ثمان ومائتين وله نيف وتسعون سنة)). رجال النجاشي: ١٤٢، وقال الشيخ الطوسي: ((حمّاد بن عيسى الجهني غريق الجحفة، ثقة)). الفهرست: ١١٥.

(٢) قال الشيخ النجاشي: ((إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني شيخ من أصحابنا ثقة، روى عن أبي جعفر عليه السلام ، وأبي عبد الله عليه السلام)). رجال النجاشي: ٢٠، لكنّ ابن الغضائري قال: ((إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني، يكنّى أبا إسحاق: ضعيف جدًّا، روى عن أبي جعفر عليه السلام ، وأبي عبد الله عليه السلام ، وله كتاب)). تقييمات ابن الغضائري: ٩٥. والرجل ثقة رغم قول ابن الغضائري لا لعدم ثبوت كتابه أو أنّه متسرّع بالجرح أو غير ذلك؛ بل لأنّ الشيخ النجاشي أدقّ وأكثر ممارسة في هذا الفن، وهو المقرّب من ابن الغضائري، ولا شكّ في اطّلاعه على رأيه، ورغم ذلك ذهب إلى وثاقته، فلا يقال بأنّ الجرح مقدّم على التوثيق بتقريب أنّ الجارح لعلّه اطّلع على ما لم يطّلع عليه الموثّق.

(٣) أبان بن أبي عيّاش فيروز: عدّه الشيخ في رجاله ((من أصحاب السجاد عليه السلام ، والباقر عليه السلام ، والصادق عليه السلام ، وقال: أبان بن أبي عيّاش فيروز، البصري، تابعي، ضعيف)). رجال الطوسي: ١٠٩، ١٢٦، ١٦٤.

وقال ابن الغضائري: ((واسم عيّاش هارون- تابعي، روى عن أنس بن مالك، وروى عن عليّ بن الحسين عليه السلام ، ضعيف لا يلتفت إليه، وينسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه)). تقييمات ابن الغضائري: ٩٣.

(٤) قال الشيخ النجاشي: ((سليم بن قيس الهلالي له كتاب، يكنّى أبا صادق ... قال حمّاد بن عيسى: وحدثنا إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس بالكتاب)). رجال النجاشي: ٨، وينظر: الفهرست: ١٤٣. وعدّه البرقي من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . رجال البرقي (الطبقات). وذكره العلامة الحلي في القسم الأوّل وحكم بعدالته. خلاصة الأقوال: ١٦٣.

ومشكلة السند في أبان بن أبي عياش، فهو ضعيف.

والحديث مأخوذ من كتاب سليم بن قيس الهلالي، فعلى فرض صحّة الطريق الى الكتاب، فيمكن قبول الحديث.

كتاب سليم بن قيس الهلالي: يوجد خلاف بين الأصحاب بخصوص اعتبار كتاب سليم بن قيس من عدمه:

١ـ اعتبار الكتاب، ذهب إلى ذلك مجموعة من الأصحاب، نذكر منهم:

أ ـ الشيخ محمّد بن إبراهيم النعماني (ت ٣٦٠ هـ)، إذ قال في كتاب الغيبة في باب ما روي في أنّ الأئمّة اثنا عشر إمامًا: ((إنّ كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول، التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها... وهو [من] الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعوّل عليها)) [١].

ب ـ الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ) صاحب الوسائل إذ عدّ كتاب سليم بن قيس في الفائدة الرابعة من خاتمة الوسائل، من الكتب المعتمدة التي قامت القرائن على ثبوتها وتواترت عن مؤلّفيها، أو علمت صحّة نسبتها إليهم بحيث لم يبق فيه شكّ [٢].

٢ـ عدم اعتبار الكتاب، نذكر منهم:

أ ـ قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ): ((وأمّا ما تعلّق به أبو جعفر (رحمه الله) من حديث سليم الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف إليه برواية أبان بن أبي عيّاش، فالمعنى فيه صحيح، غير أنّ هذا الكتاب غير موثوق به، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتديّن أن يجتنب العمل بكلّ ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد

(١) الغيبة للنعماني: ١٠١.

(٢) ينظر: وسائل الشيعة، ٣٠: ١٥٧.

لروايته، وليفزع إلى العلماء فيما تضمّنه من الأحاديث، ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد، والله الموفّق للصواب)) [١].

ب ـ وقال الشيخ أحمد بن الحسين بن عبيد الله المعروف بابن الغضائري (ق ٥): ((٦٦/ ٧ـ سليم بن قيس الهلالي العامري... وينسب إليه هذا الكتاب المشهور... والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات فيه تدلّ على ما ذكرناه، منها ما ذكر أنّ محمّد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت، ومنها أنّ الأئمّة ثلاثة عشر وغير ذلك، وأسانيد هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن أذينة، عن إبراهيم بن عمر الصنعاني، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم، و (تارة) يروي عن عمر، عن أبان بلا واسطة)) [٢].

فمن دلائل الوضع برأي ابن الغضائري: اشتماله على قصّة وعظ محمّد بن أبي بكر أباه عند موته مع أنّ عُمُر محمّد وقتئذ كان أقلّ من ثلاث سنين، واشتماله على أنّ الأئمّة ثلاثة عشر.

وناقش البعض في ذلك:

قال الميرزا الأسترآبادي (ت ١٠٢٨ هـ) في منهج المقال: ((إنّ ما وصل إليّ من نسخة هذا الكتاب، المذكور فيه أنّ عبد الله بن عمر، وعظ أباه عند الموت، وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر مع النبيّ صلى الله عليه وآله، وشيء من ذلك لا يقتضي الوضع)) [٣].

وقال الفاضل التفريشي (ق ١١) في هامش نقد الرجال: ((قال بعض الأفاضل:

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٤٩. ولمزيد من التفصيل راجع: قبسات من علم الرجال، ٢/ ١٩٩.

(٢) تقييمات ابن الغضائري: ١٢٠. وقال الشيخ النجاشي في ترجمة هبة الله أحمد بن محمّد الكاتب: ((وكان يتعاطى الكلام ويحضر مجلس أبي الحسين بن الشيبة العلوي الزيدي المذهب، فعمل له كتابًا، وذكر أنّ الأئمّة ثلاثة عشر مع زيد بن علي بن الحسين، واحتجّ بحديث في كتاب سليم بن قيس الهلالي أنّ الأئمّة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين عليه السلام)). رجال النجاشي: ٤٤٠.

(٣) منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال: ١/ ١٩٥.

رأيت فيما وصل إلي من نسخة هذا الكتاب أنّ عبد الله بن عمر وعظ أباه عند موته، وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل، وهم رسول الله صلى الله عليه وآله مع الأئمّة الاثني عشر، ولا محذور في أحد هذين (انتهى). وإنّي لم أجد في جميع ما وصل إلي من نسخ هذا الكتاب إلّا كما نقل هذا الفاضل، والصدق مبين في وجه أحاديث هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، فكان ما نقل ابن الغضائري محمول على الاشتباه)) [١].

وذكر الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) في معرض ردّه على ذلك في ترجمة سليم بن قيس: ((والذي وصل إلينا من نسخة الكتاب ليس فيه شيء فاسد ولا شيء ممّا استدلّ به على الوضع، ولعلّ الموضوع الفاسد غيره؛ ولذلك لم يشتهر ولم يصل إلينا)) [٢].

النتيجة:

إنّ من الصعب الادّعاء بأنّ جميع الكتاب موضوع، إذ الدليل المدعى على ذلك لا يؤدّي إلى مثل هذه النتيجة، فهو كتاب مشهور ومتداول وتطرق إليه العلماء في كتبهم، كما إنّه يمكن توجيه تلك الاشكالات، وأمّا القول بصحّته بأجمعه، فهو غير صحيح أيضًا فأشهر كتبنا وهو الكافي الشريف لا يدّعى فيه ذلك، فلا بدّ من ملاحظة آحاد الروايات بتمعّن ودقّة ـ وملاحظة متون هذه الروايات ومقارنتها مع روايات أخرى تقربها في المضمون ـ، والوصول إلى نتيجة قريبة من الواقع.

وأمّا خصوص رواية اختلاف الحديث مورد البحث:

يقول الشيخ محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨٦هـ) [٣] عن هذا الحديث:

(١) نقد الرجال: ٢/ ٣٥٦.

(٢) راجع: وسائل الشيعة: ٣٠/ ٣٨٦. ولمزيد من التفصيل، راجع: معجم رجال الحديث: ٩/ ٢٢٦.

(٣) الشيخ محمّد صالح بن أحمد السروري المازندراني. هو رجل دين وفقيه ومحدّث شيعي، كان من أبرز تلامذة الشيخ محمد تقي المجلسي وصهره على بنته آمنة المعروفة بآمنة بيگم أو آمنة خاتون، وهي شقيقة العلامة محمد باقر المجلسي صاحب بحار الأنوار. راجع: روضات الجنّات فى أحوال العلماء والسادات: ٤/ ١١٩.

((وإن كان ضعيفًا بحسب السند، لكنّه صحيح بحسب المضمون؛ لأنّه مقبول عند العلماء، ومشهور بين الخاصّة والعامّة، ومعلوم بحسب التجربة)) (١).

لكنّ العلامة المجلسي (١٠٣٣-١١٠٤هـ) في مرآة العقول، قال عن الحديث: ((ضعيف على المشهور، معتبر عندي، وكتاب سليم عندي موجود، وأرى فيه ما يورث الظنّ القوي بصحّته)) (٢).

قرائن صحّة رواية اختلاف الحديث:

١ـ موجود في كتاب معروف ومشهور.

٢ـ ورد في نهج البلاغة، فانتقاء الشريف الرضي له من الأحاديث لا بدّ أن يكون لمزية.

٣ـ مقبول عند الكثير من العلماء.

٤ـ مشهور بين الخاصة والعامة.

٥ـ صحيح بحسب المضمون، معلوم بحسب التجربة، أي: مؤيّد بالتجربة.

٦ـ وجود شواهد في روايات أخرى على ذلك.

المطلب الثاني: نصّ رواية الإمام عليّ عليه السلام في أسباب اختلاف الحديث

روى ثقة الإسلام الكليني بسنده عن سليم بن قيسٍ الهلاليّ، إنّه قال: ((قلت لأمير المؤمنين عليه السلام إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذرٍّ شيئًا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ اللّه صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي النّاس، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي النّاس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبيّ

---

(١) شرح أصول الكافي: ٢/ ٣٠٧.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١/ ٢١٠.

اللّه صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها، و تزعمون أنّ ذلك كلّه باطلٌ أفترى النّاس يكذبون على رسول اللّه صلى الله عليه وآله متعمّدين، و يفسّرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل عليّ فقال:

قد سألت فافهم الجواب: إنّ في أيدي النّاس حقًّا وباطلًا وصدقًا وكذبًا [١] وناسخًا ومنسوخًا وعامًّا وخاصًّا ومحكمًا ومتشابهًا وحفظًا ووهمًا، وقد كُذِبَ على رسول اللّه صلى الله عليه وآله على عهده حتّى قام خطيبًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ [٢] مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ [٣].

و إنّما أتاكم الحديث من أربعةٍ ليس لهم خامسٌ؛ رجلٍ منافقٍ يظهر الإيمان متصنّعٍ بالإسلام لا يتأثّم [٤]، و لا يتحرّج أن يكذب على رسول اللّه صلى الله عليه وآله متعمّدًا فلو علم النّاس أنّه منافقٌ كذّابٌ لم يقبلوا منه و لم يصدّقوه، و لكنّهم قالوا هذا قد صحب رسول اللّه صلى الله عليه وآله و رآه و سمع منه و أخذوا عنه، و هم لا يعرفون حاله، و قد أخبره اللّه عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم فقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضّلالة والدّعاة إلى النّار بالزّور والكذب والبهتان، فولّوهم الأعمال وحملوهم على رقاب النّاس، وأكلوا بهم الدّنيا، وإنّما النّاس مع الملوك و الدّنيا إلّا من عصم اللّه فهذا أحدُ الأربعة. ورجلٍ سمع من

(١) ذكر الصدق والكذب بعد الحق والباطل من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ لأنّ الصدق والكذب من خواص الخبر، والحق والباطل يصدقان على الأفعال أيضًا، وقيل: الحقّ والباطل هنا من خواصّ الرأي والاعتقاد، والصدق والكذب من خواص النقل والرواية. راجع: مرآة العقول: ١/ ٢١٠.

(٢) فليتبوأ، صيغته الأمر ومعناه الخبر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]. تبوّء مقعده: نزله، واستقرّ فيه.

(٣) ذكر العلماء في بيان أنّه لا بدّ أن يكذّب عليه، دليلاً، فقالوا: قد نقل عنه صلى الله عليه وآله، أنّه قال: ((سيكذّب عليّ، فإن كان الخبر صدقًا، فلا بدّ أن يكذّب عليه، وإن كان كذبًا فقد كذّب عليه)).

(٤) لا يكفّ وينتهي عن موجب الإثم.

رسول اللّه صلى الله عليه وآله شيئًا لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمّد كذبًا، فهو في يده يقول به و يعمل به و يرويه فيقول أنا سمعته من رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فلو علم المسلمون أنّه وهمٌ لم يقبلوه، و لو علم هو أنّه وهمٌ لرفضه، ورجلٍ ثالثٍ سمع من رسول اللّه صلى الله عليه وآله شيئًا أمر به ثمّ نهى عنه، وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيءٍ، ثمّ أمر به و هو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ النّاسخ، ولو علم أنّه منسوخٌ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخٌ لرفضوه.

وآخر رابعٍ لم يكذب على رسول اللّه صلى الله عليه وآله مبغضٍ للكذب خوفًا من اللّه وتعظيمًا لرسول اللّه صلى الله عليه وآله لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع- لم يزد فيه و لم ينقص منه وعلم النّاسخ من المنسوخ فعمل بالنّاسخ ورفض المنسوخ، فإنّ أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخٌ و منسوخٌ وخاصٌّ وعامٌّ ومحكمٌ ومتشابهٌ قد كان يكون من رسول اللّه صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان كلامٌ عامٌّ و كلامٌ خاصٌّ مثل القرآن، و قال اللّه عزّ و جلّ في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: ٧] فيشتبه [١] على مَن لم يعرف ولم يدر ما عنى اللّه به ورسوله صلى الله عليه وآله، وليس كلّ أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشّيء، فيفهم، و كان منهم من يسأله و لا يستفهمه [٢]، حتّى إن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابيّ و الطّاري [٣]، فيسأل رسول اللّه صلى الله عليه وآله حتّى يسمعوا، وقد كنت أدخل على رسول اللّه صلى الله عليه وآله كلّ يومٍ دخلة، و كلّ ليلةٍ دخلة فيخلّيني [٤] فيها، أدور معه حيث دار.

وقد علم أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه لم يصنع ذلك بأحدٍ من النّاس غيري،

---

(١) أي كلام رسول اللّه صلى الله عليه وآله، والذي له وجهان؛ كلامٌ عامٌّ وكلامٌ خاصٌّ.

(٢) استعظامًا للرسول صلى الله عليه وآله، وحياءً منه.

(٣) الطاري: الغريب.

(٤) من الخلوة.

فربّما كان في بيتي يأتيني رسول اللّه صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نساءه، فلا يبقى عنده غيري.

و إذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عنّي فاطمة ولا أحدٌ من بنيّ و كنت إذا سألته أجابني وإذا سكتّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول اللّه صلى الله عليه وآله آيةٌ من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي و علّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها ودعا اللّه أن يعطيني فهمها و حفظها فما نسيت آية من كتاب اللّه ولا علمًا أملاه عليّ، وكتبته منذ دعا اللّه لي بما دعا وما ترك شيئًا علّمه اللّه من حلالٍ ولا حرامٍ ولا أمرٍ ولا نهيٍ كان أو يكون ولا كتابٍ منزلٍ على أحدٍ قبله من طاعةٍ أو معصيةٍ إلّا علّمنيه وحفظته فلم أنس حرفًا واحدًا، ثمّ وضع يده على صدري ودعا اللّه لي أن يملأ قلبي علمًا و فهمًا و حكمًا ونورًا، فقلت: يا نبيّ اللّه ـ بأبي أنت و أمّي ـ منذ دعوت اللّه لي بما دعوت لم أنس شيئاً، ولم يفتني شيءٌ لم أكتبه أ فتتخوّف عليّ النّسيان فيما بعد، فقال: لا لست أتخوّف عليك النّسيان والجهل)) [1].

المطلب الثالث: البحث الدلالي في أسباب اختلاف الحديث على وفق رواية الإمام عليّ عليه السلام

لقد اشتمل هذا الحديث النافع والجليل على أمور عدّة وتوضيحات وتنبيهات:

الأمر الأوّل: ما سرّ اختلاف الحديث بين شخصيّتين من الصحابة من جهة، واتّباع النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من جهة أخرى، أي: بين ما عند سلمان والمقداد وأبي ذرّ، وبين ما عند الناس.

فقال سُليم بن قيس الهلالي لأمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكأنّه

(١) الكافي: ١/ ٦٢. وراجع أيضًا: الغيبة للنعماني: ١/ ٧٨، عن كتاب سليم بن قيس.

أبدى نوعًا من التعجّب، ومحاولة استفهام هذا الأمر الغريب، فقال: ((إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذرّ شيئًا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس)).

الأمر الثاني: موافقة الإمام عليّ عليه السلام لمجموعة من الأصحاب، وهم هؤلاء الثلاثة (سلمان والمقداد وأبي ذر)، ومخالفة ما في أيدي الناس. فاستفهم الهلالي: ((ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبيّ الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أنّ ذلك كلّه باطل)).

الأمر الثالث: السؤال عن سبب تمسّك الناس بما هو مخالف لما عندكم، أي: الأصحاب ومَن صدّقهم الإمام عليه السلام ، فهل الناس وبقيّة الصحابة كاذبون؟ قال سُليم بن قيس: ((أفتُرى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين، ويفسّرون القرآن بآرائهم؟)).

الأمر الرابع: تصدّي الإمام عليّ عليه السلام للجواب التفصيلي عن أصل المسألة، ولحلّ الإشكاليّات التي أبداها سليم بن قيس ـ وهي تساؤلات يمكن أن تردّ عند الكثيرين ـ وهذا التصدي منه عليه السلام قد بيَّنه في عدّة نقاط، هي:

النقطة الأُولى: بيان القاعدة العامّة، وتوضيح الصور الكاملة، وهي كون ما بين أيدي الناس فيه حقّ، وفيه باطل أيضًا، فهو خليط [1]، وإن كان الناس يرونه كلّه حقّاً، والأمر الحقّ فيه تفاصيل كثيرة لا بدّ أن تراعى ((ففيه ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه، وغير ذلك مما له تأثير في فهم معنى الحديث))، وهذا أمر وجداني، والذي

---

(١) اتفق المسلمون سنّة وشيعة أنّ الأحاديث المرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيها الضعيف والصحيح، ومن هنا وضعوا عشرات الكتب في علم الرجال؛ لتمحيص الروايات.

يجلب النظر جمال الأسلوب الذي اتّبعه الإمام عليه السلام من استيعاب التساؤل، والجواب الواضح والعميق والمقنع كما سيتضح.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ((قد سألت فافهم الجواب، إنَّ في أيدي الناس حقًا وباطلًا، وصدقًا وكذبًا، وناسخًا ومنسوخًا، وعامًا وخاصًا، ومحكمًا ومتشابهًا، وحفظًا [١] ووهمًا).

النقطة الثانية: بيان الخلفية الأولى لاجتماع الحقّ والباطل عن الناس. قال أمير المؤمنين عليه السلام : ((وقد كُذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده، حتّى قام خطيبًا فقال: أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ثم كُذِبَ عليه من بعده))[٢].

وهو إشارة إلى أمر معروف وواسع، وله تأثير خطير على المنظومة المعرفية الدينية، بحيث استدعى من نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله وهو الحليم والحكيم والصبور ـ التصدّي لذلك علنًا والتوبيخ الشديد لأولئك الكذّابة، وتوعدهم بالنار.

النقطة الثالثة: بيان طرق الحديث ومناشئ الكذب والوضع والدس المؤدية للاختلاف في الحديث، وهو أمر مهم ويعد هذا الحديث الشريف من أولى التوضيحات في المأثور من الروايات؛ لتوضيح هذه المعضلة الكبيرة، والتنبيه عليها وطرح الحلول المناسبة لها.

قال أمير المؤمنين: ((وإنّما أتاكم الحديث من أربعة، ليس لهم خامس:

١- [**المنافقون**] رجل منافق يظهر الإيمان، متصنّع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدًا، فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب، لم

(١) الحفظ: ضبط الحديث، وعدم الخطأ فيه والذهول عن بعضه.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١/ ٤٦.

يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنّهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه، وأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره، ووصفهم بما وصفهم، فقال عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

٢- [**الخاطئون**] ورجل سمع من رسول الله شيئًا لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذبًا، فهو في يده، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنّه وهم لرفضه.

٣- [**أهل الشبهة أو قليلو العلم**] ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئًا أمر به ثمّ نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولم علم المسلمون؛ إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

٤- [**الصادقون الحافظون**] وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، مبغض للكذب خوفًا من الله وتعظيمًا لرسول الله صلى الله عليه وآله، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ.

وهنا يُبيِّن لنا أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة في الحديث: (فإنَّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص، مثل القرآن، وقال الله عزَّ وجلّ في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فيشتبه

على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله الله صلى الله عليه وآله.

ثم يُبيِّن لنا حقيقة تاريخية مهمة حول المستوى المعرفي للصحابة:

قال أمير المؤمنين: ((وليس كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يسمعوا).

ثم يُبيِّن عليه السلام مقامه من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لتفهم الأمة مقامه العلمي المعرفي المتميّز والشامخ، بعد ما علمت من شأن عامة الصحابة في هذا الشأن.

قال أمير المؤمنين: ((وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخلّيني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربّما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نساءه، فلا يبقى عنده غيري))[1].

إذن هنالك أربعة أنواع من رواة للحديث سبَّبت اختلاف الحديث:

الأوّل: نوع منافق كذَّاب يضع الحديث تقرّبًا للحكّام، وتقديم هذا النوع لخطورته وربما لكثرته.

الثاني: نوع يسمع ولا يفهم، فيروي فما فهمه خطأ لا عن تعمّد، وهم كثرة أيضًا، و درجة خطورة هذا النوع في المرتبة الثانية.

الثالث: نوع ليس منافقًا ولا بليدًا، فهو يسمع ويفهم، ولكنّه قليل العلم؛ لأنّه علم المنسوخ السابق ولم يعلم ناسخه أو خفي عليه ، ولو علم أنَّ ما عنده منسوخ لرفضه.

---

(١) الكافي: ١/ ٦٢ .

الرابع: وهم القلّة، يسمعون ويحفظون ويفهمون ويعلمون، يبغضون الكذب والنفاق، حفظوا ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وآله على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ.

وجاءت بمضامين هذا الحديث في أخبار أُخرى صحيحة السند، خصوصًا بما يوضّح مقام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

وهذا الحديث يدعونا إلى التمحيص الشديد في كلّ خبر، والتمحيص في نقلة الأخبار، وهو دليل على الواقعية في خط أهل البيت عليهم السلام، والمنهج العلمي والدقيق لاختيار الصحيح والمعتبر من الأخبار المرويّة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام، بإعطاء ضابطة للصحيح من الروايات.

الخاتمة

١ـ علوم الحديث ودرايته لها مكانة رفيعة ومهمة في تعيين مكانة الحديث وتشخيص سليمه من سقيمه. والاهتمام والتأكيد على فهم الحديث يرفد العلم بآراء جديدة، ويساهم بشكل أساس بتطويره.

٢ـ نعلم بتلاعب الكذّابين والوضّاعين بالأحاديث استنادًا إلى أدلّة نقلية مسلّم بها وشواهد تاريخية قطعية.

٣ـ تأكيد الروايات على ضرورة الدقة في نقل الحديث وروايته وتمحيصه.

٤ـ هناك أسباب عدّة لاختلاف الحديث، أهمّها: الاستنساخ، ذهاب بعض القرائن المحيطة بالحديث، النقل بالمعنى، الوضع والجعل، اختلاف المستوى المعرفي للرواة، تقطيع الروايات، التشريع التدريجي، التقيّة، المنع من تدوين الحديث، محاولة السلطة تكوين رصيد روائي خاصّ بها، وغير ذلك.

٥ـ رواية اختلاف الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام مرويّة في كتاب سليم بن قيس الهلالي. والكتاب مختلف في اعتباره بين علماء الطائفة الحقّة، ولعلّ الصحيح إنّه كسائر الكتب في اشتماله على الصحيح وغير الصحيح، ولابد من التمييز الدقيق.

٦ـ رواية اختلاف الحديث التي يرويها الكليني فيها إشكال سندي بسبب أبان بن أبي عيّاش، فهو ضعيف، ولكن يمكن قبول الرواية لقوّة مضامينها ووجود شواهد عليها من التجربة والوجدان والروايات الاخرى.

٧ـ بيّنت الرواية سرّ اختلاف الحديث: وذلك إنّ في الروايات عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله خليط من الحقّ و الباطل، وكذلك فيه ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومحكم ومتشابه، وإنّ الكذب على الرسول صلى الله عليه وآله كان شائعًا بحيث استدعى من الرسول الردّ الحازم.

٨ـ أوضحت الرواية طرق الحديث ومناشئ الكذب والوضع والدس المؤدية للاختلاف في الحديث، وإنّ الحديث يأتي من أربعة، ليس لهم خامس:

أ ـ رجل منافق يظهر الإيمان، وهو كذّاب يضع الحديث تقرّبًا للحكّام.

ب ـ رجل سمع من رسول الله شيئًا لم يحمله على وجهه ووهم فيه.

ت ـ رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا أمر به، ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم.

ث ـ رجل سمع وحفظ وفهم وعلم، مبغض للكذب والنفاق.

٩ـ إنَّ أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن فيه ناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، ومحكم ومتشابه.

١٠ـ يُبيِّن لنا الحديث حقيقة تاريخية مهمة حول المستوى المعرفي للصحابة، والذي تغلب عليهم الأميّة، وقلّة العلم.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. الاعتقادات، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الصدوق، (ت٣٨١ هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم ـ إيران، ط٢، ١٤١٤ هـ.

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام ، العلامة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (١٠٣٧ –١١١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢.

٣. ثورة الحسين ظروفها الاجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين (١٩٣٦ – ٢٠٠١ م)، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٧ هـ.

٤. الخصال، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هـ.

٥. دراسات في علم الدراية، علي أكبر الغفاري (١٣٠٣-١٣٨٣ ش)، جامعة الإمام الصادق عليه السلام ، طهران ـ ايران.

٦. رجال البرقي- الطبقات، أبو جعفر البرقي، منشورات جامعة طهران، طهران ـ إيران.

٧. الرعاية في علم الدراية، زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي الشهيد الثاني (٩١١ – ٩٦٥ هـ)، تح: عبد الحسين محمد علي بقال، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ ايران، ١٤٠٨ هـ.

٨. روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات، محمّد باقر الخوانساري الموسوي (١٢٢٦ – ١٣١٣ هـ)، نشر اسماعيليان، قم ـ إيران، ط١، ١٣٩٠ ش.

٩. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: عبد القادر عطا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤ هـ.

١٠. شرح أصول الكافي مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، المولى محمّد صالح المازندراني (ت ١٠٨١ هـ)، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢١هـ.

١١. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (ره)، قم ـ إيران.

١٢. شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٣٦ ـ ٦٧٩ / ٦٩٩هـ)، تح: عدّة من الأفاضل، دفتر نشر الكتاب، قم ـ إيران، ط١، ١٣٧٩ هـ.

١٣. الغيبة، محمّد بن إبراهيم النعماني (ت ٣٨٠ هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، نشر صدوق، طهران ـ إيران، ط١، ١٣٩٧هـ.

١٤. قبسات من علم الرجال، السيد محمد رضا السيستاني، أبحاث السيد محمد رضا السيستاني، جمعها ونظمها: السيد محمد البكاء، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٧ هـ.

١٥. الكافي، الشيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي الكليني (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران– إيران، ط٢، طهران ١٣٨٩هـ.

١٦. كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الكوفي الهلالي، تح: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، نشر دليل ما، قم ـ إيران، ط٥، ١٤٢٨هـ.

١٧. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي (٨٨٥– ٩٧٥ هـ)، ضبطه وفسّر غريبه الشيخ بكري حيّاني، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ.

١٨. معاني الأخبار، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الصدوق، (ت٣٨١هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

١٩. مقباس الهداية، الشيخ عبد الله المامقاني (١٢٩٠-١٣٥١هـ)، تح: الشيخ محمّد رضا المامقاني، نشر دليل ما، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٨ هـ.

٢٠. منع تدوين الحديث، السيد عليّ الشهرستاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٧هـ.

٢١. منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال، محمّد بن علي الاسترآبادي (ت١٠٢٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٢٢. نقد الرجال، السيد مصطفى التفريشي (ق١١)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٨ هـ.

٢٣. هدي الساري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: إبراهيم عطوة عوض، مصر، شركة الحلبي، ١٣٨٣ هـ.

٢٤. الوجيزة في علم الدراية، الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي البهائي (٩٥٣ ـ ١٠٣٠هـ)، نشر بصيرتى، قم ـ إيران، ط١، ١٣٩٠هـ.

٢٥. وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، الشيخ محمّد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، ط١، ١٤٠٩هـ.